تصدر فى ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

البعث الإسلامي

المجلد

الحادى عشر

العدد التاسع

٢٢ صفر

سنة ١٣٨٧ هـ

يونيو

سنة ١٩٦٧ م

جاهلية اليوم

تشاغل المسلمون اليوم بالدنيا كأمم الجاهلية وسعوا وراءها و عقدوا حياتهم بها : فاذا أشرتم على مدنهم و بلادهم من مرقب عال لم تميزوا بينهم و بين أفراد أمة جاهلية ، سعى وراء المادة فى غير اقتصاد ، و اكتساب من غير احتساب ، سهر فى غير طاعة ، و عمل فى غير نية تجارة فى لهو عن ذكر الله ، و حرفة فى جهل عن دين الله ، و وظيفة فى الاخلاص لغير الله ، و حكومة فى مشاقة حكم الله ، شغل فى ضلالة ، و قعود فى بطالة ، و حياة فى غفلة و جهالة .

أبو الحسن على الندوى

شعارنا

الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع

وبين الإيمان الراسخ والعلم الواسع

Phone 22948 Regd. No. L. 1692

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwatul Ulama, LUCKNOW. (India)

إقرأ هذه الكتب

JEWISH CONSPIRACY
and the
MUSLIM WORLD

Edited by
MISBAHUL ISLAM FARUQI

With cnmplete Text of the
PROTOCOLS OF THE
Learned Elders of Zion

Also Includes:
JEWS IN HISTORICAL
PERSPECTIVE
By
MAULANA ABDUL AZIZ

JEWISH CONSPIRACY
By
MAULANA ZAFAR AHMAD ANSARI
Edited, Translated, Enlarged
By
M. I. FARUQI

Detailed Introduction to Protocols,
Photos of Russian origin
and Map of " Greater Israel
Pages 254—Rs. 7/Sh. 21/3

Obtainable from
Post Box 2189, Karachi-18/
W. PAKISTAN

Printed by: S. M. HASANI at Nadwa Press, LUCKNOW.

البعث الإسلامي

شهرية - إسلامية - جامعة

عنوان الادارة: البعث الاسلامى ، دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

الهاتف: ٢٩١٧٤ — ٢٢٩٤٨

التلغراف: NADWA, Lucknow.

الاشتراكات

فى الهند و باكستان : —

عشر روپيات ثمن العدد روپية واحدة .

فى العالم العربى : —

(بالبريد العادى) جنيه واحد (استرلينى)

(بالبريد الجوى) جنيهان و نصف (استرلينى)

فى أفريقيا الجنوبية و الشمالية : —

(بالبريد العادى) جنيه واحد (استرلينى)

(بالبريد الجوى) ثلاثة جنيهات ونصف (استرلينى)

مطلوب وكلاء و موزعون فى كل بلد إسلامى و و فى المهاجر ، و فى كل قطر - شرقياً كان أم غربياً - تعيش فيه الجالية الاسلامية .

- الاشتراكات فى باكستان ترسل إلى مجلة فاران كيمبل استريث كراچى رقم ١ باكستان
- نرجو تزويدنا بآخر ما يقع من حوادث و أنباء إسلامية فى الوطن الاسلامى الكبير بأسرع ما يمكن مع وافر الشكر !

وكالات المجلة

- مكتبة المنار الكويت
- مكتبة الآداب الرياض السعودية
- مكتبة النور طرابلس الغرب ليبيا
- المكتبة الوطنية الزاوية ليبيا
- مكتبة الثقافة الدوحة قطر
- مدثر حسين الصديق الجامعة الاسلامية المدينة المنورة السعودية
- الأستاذ محمد الأمين دعاك كسلا السودان
- الأستاذ ابراهيم النعمة دار الكتب الموصل - العراق
- مكتبة الحضارة الاسلامية حلب - سوريا
- مكتبة الحرمين ص ب ٥١١ الدمام (السعودية

شهرية أدبية إسلامية

شهرا عشرة أعداد

البعث الإسلامي

العدد التاسع — المجلد الحادى عشر

٢٢ صفر ١٣٨٧هـ — يونيو ١٩٦٧م

رئيس التحرير : محمد الحسني

مدير التحرير : سعيد الأعظمي

موجز الفهرست

- التوجيه الاسلامى ص ٩
- الدعوة الاسلامية ص ٣١
- دراسات و أبحاث ص ٤٧
- اقتصادنا فى ضوء الاسلام ص ٦٥
- فى رياض الشعر و الأدب ص ٨٤
- العالم الاسلامى ص ٩٠

(ندوة العلماء)

قامت ندوة العلماء على مبدء الجمع بين الدين الخالد الذى لايتغير و بين العلم النامى الذى لايتحجر، بين صلابة الحديد فى الثبات على العقيدة ، وبين نعومة الحرير فى اقتباس العلوم النافعة ، فبينما العالم الدينى فى عقيدته و عبادته جبل ثابت ، إذا هو فى علمه ودراسته و تقدمه نهر عذب جار ، و بينما هو فى نصوص الدين و عزائمه مرابط على الثغر و حارس للامانة ، إذا هو فى تفهيمه و دعوته جندى مهاجم و مسلح على أحدث طراز ، و بينما هو فى الأول لا يعرف الهوادة إذا هو فى الثانى لا يعرف الجمود ؟

محتويات العدد

جان بول سارتر والأدب الوجودى(٢) محمد الحسنى ٣

التوجيه الاسلامى

صفوة الآثار و المفاهيم من تفسير القرآن فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى ١٠

الاسلام والحضارة الغربية الدكتور محمد محمد حسين ١٧

إلى ممثلى البلاد الاسلامية سماحة الأستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى ٢٦

الدعوة الاسلامية

المنابع الفلسفية لمادية الغرب الكاتبة الأمريكية مريم جميلة ٣٢

الميزة الأساسية لنظام الخلافة فضيلة الشيخ محمد اسحاق الندوى ٤٠

دراسات و أبحاث

التعصب للجنس أو الدين الدكتور تقى الدين الهلالى ٤٨

نظرة على مؤلفات حديثة للفقه ** الأستاذ سعيد أحمد البالنبورى ٥٧

اقتصادنا فى ضوء الاسلام

مكانة الاقتصاد الاسلامى بين النظم* الأستاذ محمد فاروق النبهان ٦٦

حاجة الانسان إلى معيشة أفضل سعيد الأعظمى الندوى ٧٧

فى رياض الشعر والأدب

حر ** أسير ** ! (شعر) الأستاذ عمر بهاؤ الدين الأميرى ٨٥

قاموس الأستاذ سهام الدين المصرى ٨٧

العالم الاسلامى

منهج رجال التبليغ فى الدعوة والاصلاح الأستاذ وحيد الدين خان ٩١

أخبار ثقافية و اجتماعية إعداد: قلم التحرير ٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

جان بول سارتر و الأدب الوجودى !

الاتجاه الفكرى الذى يتزعمه سارتر فى المذهب الوجودى هو - فى الواقع - ظل هذه الحروب العالمية التى رزئت بها الانسانيـة ، إن هذا القلق ، و السآمة و الفوضى ، و الميوعة الفكرية التى طغت و سادت على التفكير الانسانى و نشاطه فى هذه العقود من السنين هى المسؤلة عن هذا المذهب الاباحى الغامض ، و لا عجب فى ذلك . فقد اكتوى الرجل بنار هذه الحرب وعاش بين شظاها . حين قبض عليه فى الحرب العالمية الثانية و لبث فى السجن عاما كاملا ، ثم تسلل من هـذا السجن ولاذ بأذيال الفرار و انضم إلى حركة معادية لألمانيا (١) ، و عاد - أخيراً - بأدب جديد ، يرخى العنان للانسان ، و يبرر كل صنيعة أو شنيعة يأتى بها ، و يحاول أن يقضى على همومه و متاعبه و آلامه عن طريق هذه الحرية التى لا حدود لها و لا قيود ، و لا رقيب لها و لا حارس .

إن سارتر يعترف - بنفسه - أن هذا الخواء ، و الوحدة والعزلة أصيلة راسخة فى كيان الانسان و لكنه يرجو أن يستولى عليه الانسان ، أو يتناساه - فى تعبير أصح - بهذا الشذوذ الفكرى و الاباحية العقلية ،

(1) الأدب الفرنسى ص 541

و التصرف الحر ، و يضع عنه « أغلاله » و « أثقاله » من الايمان ، و الأخلاق ، و المثل العليا ، و يحطم كل مقياس أو ميزان للخير والشر و الخبيث و الطيب ، و المنكر و المعروف ، أما إذا تدخل فى هذه الحرية وجود إنسان آخر ، فذلك قسر طبيعى ، لا نملك إلا أن نواجهه بضغط نفسى شديد و كبت ، أو ننتصر عليه باستعمال حريتنا فى نطاق أوسع أو باللامبالاة إلى آخر الحدود .

و قد تجلى ذلك فى روايات « سبل الحرية » Les Chemins de-laiberte و« موتة الروح La Mart dans l'Ame و« عصر العقل L' Age-de Raison التى صور فيها تلك الأوضاع الاجتماعية و الظروف التى تحيط بالانسان المتمثل فى شخص « بطل القصة » الأوضاع التى تتدخل فى حريته الفردية و انطلاقاته الواسعة فيواجهها بعنف أحياناً ، و بلا مبالاة بعض الأحيان .

و هو فى هذه الناحية ـ ناحية اليأس و التشاؤم ـ لا يقل فى أى حال من شوبنهور Schopenhauer ـ زعيم المتشائمين ـ الذى قال : Life Swings like a pendulum from Pain to Ennui from - Ennui to Pain أى « إن الحياة تتدلى كالبندول من الألم إلى السآمة ، و من السآمة إلى الألم » (١) و هذه السآمة و القلق هو الطابع العام البارز ، لجميع هولاء الكتاب و الفلاسفة و الأدباء ، السآمة و الشعور بالفراغ ، ثم ملء هذا الفراغ بالتدهور إلى درجة الوحوش و السباع ، وممارسة ألوان مضحكة للتسلية والترفيه و إرواء هذا الظمأ النفسى الشديد

(1) Islam and Modernism by Maryam Jumeela p. 13

لا يصدقها العقل السليم ، و لا تقبلها الكرامة البشرية (١) .

فالسبب الرئيسى لانتصار هذا المذهب وانتشاره فى الشباب والأدباء و الكتاب أنه هيأ سنداً كبيراً وركناً شديداً للمستهترين و العابثين ، وفتح لهم الأبواب على مصراعيها لتحقيق نزوات الجسد ، و شهوات النفس ، بمرأى من العالم و مسمع ، و ذلك تحت ستار « الفلسفة » و « الأدب » و الأدب كما قال اندريه جيد : لاينبغى أن يصبو إلى غاية و يفضى إلى نتيجة حتى يبقى هذا الحد الفاصل أى النتيجة والغاية بينه وبين الدين دائماً (٢)

ونعود الآن إلى مارسيل Marcel الذى يعتبر من أقطاب المفكرين فى فرنسا (١٨٨٩) وهو زعيم مدرسة خاصة فى المذهب الوجودى ونرجع منه بصورة نقابلها بصورة سارتر فاذا هى تختلف عنها اختلافا هائلا ، سواء فى الأبعاد و الحجم ، أو فى القسمات و الملامح أو فى الطابع و اللون مع أنهما زميلان فى المذهب الوجودى رغم اختلاف المنهج الفكرى School-of Thought و الاتجاه الأدبى .

الفرق الرئيسى و الفرق الأصيل بين الأديبين ، أن الأول يمثل الجناح الملحد الاباحى ، الكافر بسائر القيم الخلقية فى هذا المذهب أوهذه

(١) و ما هذه الرقصات المجنونة الثائرة أمثال الجاز و الروك اندرول أو « رقصة الحمير و البغال » و هى آخر الموضات . أو ظهور عصابات للمغنيين والمغنيات أمثال Frank Sinatra ، Bing Crasby ، Elwis Presley أو Beatles أخيراً ، إلا محاولات يائسة للخلص من هذا القلق النفسى ، و الحرمان و اليأس الذى يئن الغرب كله تحت وطأته الشديدة « و لتذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون » .

(2) الأدب الفرنسى ص 551

الحركة الفلسفية الأدبية ، و الثانى يمثل الجناح المؤمن بالله ، المعترف بالقيم الخلقية ، الداعى إلى التفاهم مع المسيحية .

إن مارسيل يؤمن بالروح ، و يعتقد أن الانسان لا يحظى بالحرية الصحيحة و الحرية الكاملة إلا إذ اتصل بقوة أكبر منها ، و هى الذات الالهية ، وكل اعتباره و قيمته أنه اختار الله و رضى به غاية و هدفا ، إنه يرى أن الاستقرار فى النشاط الفردى و الكفاح الاجتماعى لا يتأتى بدون هذا الايمان ، و هنالك يلتقى مارسيل بالمسيحية فى أوسع نطاق و أفسح مجال (١) .

«إنه يقول إن الحس الخلقى والارادة الشخصية هما يفيضان على الحياة معنى و غاية ، إنه لا يعتبر الحياة ضائعة مهملة لا معنى لها و لا قيمة شأن سارتر وكامو Camus بل إنه يؤمن - بالعكس - بأن الأمل و الرجاء أصيل متسرب فى الروح البشرى متغلغل فى كيانه ، و نحن لا نستطيع أن نفوز بذواتنا إلا فى حالة الأمل و الرجاء ، لا فى حالة اليأس و الشقاء ، فان الأمل للحياة الروحية بمثابة النفس للحياة الطبيعية (٢) .

إنه يؤمن بالحب و الوفاء و الرجاء و سائر المعانى النبيلة الكريمة التى أودعها الله فى الانسان ليستعين بها فى مشاق سفره ، و يتزود بها فى رحلته الطويلة فتخفف ما به من آلام ومتاعب وصعوبات ، ومشكلات و عقبات ، ولكنه لا يستطيع أن يضع لها تصميما واضحاً ، أو يشير إلى منهج خاص يضئ له الطريق . فاذا كان الأول كمثل «الذين طبع الله على قلوبهم و على سمعهم و أبصارهم ، كان الثانى كمثل الذين وصفهم الله بهذا

(1) المصدر السابق ص 548 (2) المصدر السابق ص 549

الوصف المعجز البليغ «كلما أضاء لهم مشوا فيه و إذا أظلم عليهم قاموا . و لوشاء الله لذهب بسمعهم و أبصارهم إن الله على كل شئ قدير» .

و أما رواياته و تمثيلاته فمجرد عناوينها و أسمائهـا تدل على منهج تفكيره وعاطفته و وجدانه ، فهنا تمثيلية مشهورة له سماها «ولى من أولياء الله» Un Home De Dien و رواية تحت عنوان «قلوب الآخرين» La Coeur des Autres و ثالثة اسمها «التوفيق الألهى» La Grace بخلاف روايات سارتر

و نقدم هنا نموذجا واحداً من رواية «ولى من أولياء الله» فهو يلقى الضوء على أسلوب تفكيره و على ضميره العلمى ، و عقله المشبوب بالوجدان و العاطفة

إنه يصور فى هذه الرواية قسيساً من البروتستانت (و هو بطل الرواية) غفر لزوجته بعض جفوتها و عفا عما أتت به من جنايه أوخيانه و لكنه تحول منذ ذلك الوقت شخصاً آخر ، و حدثت فى نفسه ثورة عجيبة ، فبينما كان يثق بكل واحد أصبح لا يعتمد الآن على أى شخص مطلقاً و يرى الناس حوله بنظرة الشبهة و يسئ بهم الظن ، ثم راح يشك فى نفسه ، فتعبد فى الخلوات ، و مضى فى العبادات لعله يبرأ من علته ، و لكنه لم يتخلص منها ، و ابتلى بها مدة من الزمان ، و توجه أخيراً إلى خدمة الرهبان فى الكنيسة ، و انصرف إليها كلياً ، و حاول أن ينسى نفسه فى زحمة الأشغال و الوظائف اليومية المعتادة ، و نجحت هذه الفكرة و هذه المحاولة فلم تذهب عنه الظنون و الشبهات فحسب ، بل إنه عثر بذلك على ضالته المنشودة فبدأ يلمس فى حياته معنى خاصاً

إنه نموذج لكاتب كبير له مكانه مرموقة فى الأدب الفرنسى وطابع ممتاز بين المناهج الأدبية و أساليبها ، و زعيم من كبار زعماء المذهب الوجودى ، فما هو إذاً جنايته إذ تخونه الأعين و تفوته الأبصار فى مصر و سوريا و لبنان ، و تنزوى له صفحات الجرائد و الصحف و المجلات الزاخرة الصادرة فى هذه البلاد ، و لا ينال هذا الأديب المؤمن بالذات الالهية وبالقيم الأخلاقية - وأنا لا أدافع عنه . فى أدبه مؤاخذات و فى فلسفته فجوات و ثغرات يضيق لها المكان - بعشر ذلك الترحيب الحار أو بهذه الورود و الأزهار التى نالها ذلك الكاتب الملحد المعروف بذهنه المائع ، و فلسفته الفاجرة الهدامة لسائر القيم و المبادىء و الأخلاق و الدعوات ، و الرسالات التى قامت بها الأرض و تشرفت بها الانسانية ، وامتاز بها الجنس البشرى على حشرات الأرض و فقاقيع البحر ؟

هل هى ، مؤامرة أدبية ، للكتاب الاشتراكيين و الأدباء الثوريين لتحقق ما تصبو إليه نفوسهم من هدم للدين و إشاعة الفاحشة فى المسلمين أم إنه انسياق مع التيار من غير هدى ، و تخبط فى ضلالة و عمى ؟

لقد أحاطوه بهالات التقديس و الاجلال و فرشوا له المحاجر و القلوب كأنه نبى أرسله الله إلى الاشتراكيين العرب ، أو قديس جادت به أرض فرنسا - كعبة هؤلاء الأدباء المزعومين - ليمسح دموع هذه الأمة المنكوبة و يبارك فى أحزابها المتنافرة وهيئاتها المتنافسة ، ودويلاتها المتفرقة وحكامها المتناحرين المتكالبين على مقاعد الحكم والقيادة ، ومناصب الامارة والرئاسة ، أم إنه مسيح يحيى الموتى و يبرىء الأكمة والأبرص باذن الله ؟

البقية على ص ١٠٠

- معالم فى الطريق .
- و أضواء على الشعارات الزائفة .
- و تصوير للوقف الاسلامى الصحيح .
- و دعوة إلى منبع الاسلام الصافى النقى .
- خطوط عريضة للفكر الاسلامى الثائر الذى لا يقبل المساومة و البيع و الاستسلام ولا ينسجم مع الغرب المادى أيما انسجام .

التوجيه الإسلامى

بقلم

صفوة الآثار و المفاهيم من
تفسير القرآن الكريم

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

التاسع و الأربعون بعد المأة : العابد لله لا يقرأ القرآن لأجل المزيد من المعلومات فقط ، و لا لأجل تحصيل الثواب الموعود به على كل حرف ، فيشرع فى قراءته أو يكررها دون تفهم و خشوع ، و دون تصميم على التنفيذ لأوامر الله فيه بكل قوة و تحمس ، و لا تكون قراءته بقصد الاستمتاع بفصاحته أو التذوق من بلاغته ، شأن المائقين المنحذلقين من ذوى الابتعاد و الشكوك فى الماضى و الحاضر ، بل يقرأ القرآن لأجل أن يتلقى كلام رب العالمين كلام الملك العلام ، مالك الملك المختص بالفصل يوم القيامة . اليوم الذى لا ينجو فيه إلا العاملون بالقرآن .

فعبودية الله تستلزم من عبده الصادق أن يقرأ ذلك الكتاب كقراءة الجندى والموظف الذى يقرأ كتاب رئيسه ليعمل بمقتضاه ، وينفذ وصاياه متشرفا به . إن كان مخلصاً . فعبد الله المخلص له الصادق معه ، يتشرف بقراءة كتابه العزيز و وحيه الثانى المفسر له من سنة نبيه ﷺ ، ويفرح بهما أعظم فرحة ، و يتلقاهما كتلقى الجندى فى الميدان لتوصيات رئيسه ، معرضاً عما سواهما، لا يرفع به رأساً، وبذلك تحصل الطواعية لله ولرسوله

و تنحصر صلة العبد بهما ، و ينفصل عما عداهما انفصالا كاملا ، عن شعور إيمانى عميق ، منبثق من محبة الله ورسوله ﷺ ، ومنابذة ماعداهما فراراً من الاثم ، و التزاما لقواعد المحبة و ضوابطها .

و إذا قرأ عباد الله كتاب الله على هذا النحو وتلقوه بهذه الصورة انفتحت لهم كنوز العلم و المعرفة ، و تيسر لهم العمل به دون إحساس بأى تكليف ، بل يستطيبون العمل لله و يتلذذون به ، و يتنافسون بالتضحية فى سبيله ، و يتسابقون إلى الفداء لأن ذواتهم قد تكيفت بوحى الله الذى الخشت به قلوبهم ، وتغلغل فى شرايينهم ، وهناك تنفجر طاقاتهم وتصبح ثقافتهم ثقافة محمدية متحركة ، زحافة فى كل ميدان ، و إلى كل صقع و واد ، لا تقتصر على ملازم الكتب أو أعمدة الصحف و المجلات ، ولا تنحجر فى الصناديق و الدولاليب ، و إنما تحرك أهلها ذات اليمين و ذات الشمال ، حيث أراد الله من الزحف المقدس ، الذى قام به أسلافنا عباد الرحمن ، و الذى لا نزال نسعى فى آثاره و بقاياه من الأرض .

هذا نتاج القرآن لمن أقبل عليه بفرح و حب ، و تشرف وتشوق ، و تعاهده حتى ينغرس فى قلبه ، و ينمو فى عروقه ، و لقد كان السلف لا يتجاوزون بضع آيات منه حتى يحفظوها و يتدبروها و يقوموا بواجبها من التنفيذ ، و لم يكن همهم مقصوراً على الاستكثار من قراءته ، كحالنا فى هذا العصر ، لشعورهم بعظم المسؤولية من الواجبات و التكاليف ، حتى حصلت عندهم الملكة على تحملها بكاملها ، و رعايتها حق رعايتها .

فان هذا القرآن لم يجعله الله كتاب قصة و فن أو أدب و تاريخ و إنما جعله الله ميثاقه العظيم المتين لعباده فى الأرض ، ليكون منهاجا

لسيرهم فى جميع ميادين الحياة السياسية والثقافية و الاقتصادية والاجتماعية ومرجعاً وحيداً لهم فى سائر ما ينوبهم من ذلك. لا يبقى رمزاً فى الخيال مجرداً فى الذهن ، أو محجوراً فى مكان أو مقصوراً على شئ دون شئ، و الذين يريدون حصره فى شئ من ذلك من المثقفين ثقافة عصرية مادية حسب مخطط أعداء الاسلام قد سلكوا أقبح مسالك الشرك فى تنقيص الله وبخسهم لحقه و انتزاعهم لسلطانه ، و تأليه أنفسهم من دونه يجعل الحاكمية لغيره من البشر الذين يريدون أن تكون لهم الخيرة من أمرهم .

أقول عن هولاء المتلبسين بأقبح أنواع الشرك و أفظعها إنهم لا يرضون لمواثيقهم و أنظمتهم التى دبروها أن تكون خيالا فى الذهن ، لا وجود له فى الخارج ، أو يكون العمل بها مقصوراً على ناحية دون ناحية بل يعتبرون هذا ردة و خيانة كما لا يجوزون لأحد من الشعوب المدينة بها أن يخرج عن طاعة واضعيها ، أو يختار لنفسه منهجاً يلائمه سواها ، فيعتبرونه متمرداً أو عميلا خائناً و متآمراً على سلامة الوطن أو الدولة إلى غير ذلك من التهم التى يصبوا عليه بسببها أنواع العقوبات ، فقد جعلوا لأنفسهم منزلة أعظم من الله إذ جعلوا لأنفسهم ونظمهم الوضعية كامل الايمان و السلطة و النفوذ فى كل شئ دون الله ، و وحيه العزيز الذى يزعمون أنه فى الضمير فقط، بالله عليكم أى شئ فى الضمير لايلهب الحماس ، و لايحرك الجوارح ؟ هذا خيال لا وجود له .

و هل يقبلون من أحد دعوى الوطنية فى ضميره ، و هو لا يعمل لصالح وطنه و لا ينطق لصالح وطنه ، أم هل يقبلون منه أحد دعوى

إيمانه بالقومية فى ضميره ، و هو يسلك المسالك المخالفة لها فى عرفهم العصبى ؟ أو يقبلون دعوى الايمان بالشيوعية و فروعها من الاشتراكيات فى الضمير ، دون التقيد بخططها و مواثيقها الماركسية ؟ إذا كانوا لا يرضون ذلك (و طبعاً لا يرضونه) فما قيمة دعواهم أن الدين فى الضمير ؟ أو أن العبادة مختصة فى المساجد و المعابد أو أن القرآن جاء بشريعة و دين لعصور قديمة متخلفة ؟ أو نحو ذلك من المفتريات الماسونية .

حقاً إن ما فى الضمير لابد أن ينطق به اللسان ، و تتحرك به الجوارح و الأحاسيس ، فان حل حب الله و رسوله حقاً فى الضمير كان وحى الله من كتاب و سنة غذاء للقلب ، و متعة للاحاسيس ، فانشغل اللسان بوحى الله و ذكره ، و تحركت الجوارح إلى طاعته ، و تنفيذ أوامره ، و ابتعدت عن موجبات سخطه ، بدافع روحى لا مثيل له ، بحيث إن الانسان يقدر على التهرب من النظم الوضعية ، فيخالفها بشتى الوسائل ، و لكن الوازع الدينى من خشية الله ومراقبته و الطمع فى ثوابه الجزيل والخوف من عذابه الأليم المقيم يجعله لايستهين بأوامر الله ، أو يتهرب عن تنفيذها ، لما حل فى ضميره من الحب و المراقبة ، و على العكس إذا خلا الضمير من حب الله و تعظيمه ، و حل فيه حب غير الله أو تعظيم غير الله و الخوف منه ، انصرف إليه و استمال إلى ما يقذفه عليه ، و تحرك إلى ما يريده دون مبالاة بالله ، كما هو المشاهد من حال أكثر أهل هذا العصر .

(ثم إنا نسأل الذين يحصرون الدين فى الضمير) نقول لهم هل

تسمحون للسلم الصحيح أن ينطق فيما يمليه عليه ضميره ويتحرك لما يوجهه إليه ضميره المحب لله حقيقة ؟ أو تقيدونه من كل ناحية على حسب ما تريدون ؟ فأى قيمة لما فى ضميره ؟ بل أى حرية تتشدقون بها ؟

إن المواثيق الماركسية والدساتير الوطنية بأى صبغة صبغت لاقيمة لها ، إذا كانت خيالا فى الضمير ، لا يظهر مفعولها و يبرز وجودها فى الخارج ، و لكن جندت لها جميع القوى الاعلامية و الثقافية و العسكرية حتى انطبعت بها الأدمغة ، وفرضت على الناس ، و أبرز باسمها طواغيت شتى ، فرضوا ألوهيتهم و نفوذهم على البشر ، بمختلف أنواع التسلط ، من فكرى و عسكرى فما بال الدين يبقى أكذوبة مزعومة فى الضمير ؟ و ما بال المسلمين يظلون متسولين عطف غيرهم عليهم ؟

إن من أعظم الواجب تصديق حب الله وتحقيق تعظيمه فى قلوبهم الخشوع لذكر الله و ما نزل من الحق ، وتدبر القرآن بكل حب و شغف (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) و التصميم على تنفيذ أوامر الله و الزحف برسالاته و السعى لاعلاء كلمته فى الأرض أشد مما يسعى غيرهم من أهل المبادىء العصبية ، و المذاهب المادية الوثنية ، فمن العار أن يغلبهم أولئك ، إنهم لا يحققون عبودية الله حتى يرعوا ميثاقه الأعظم ، بتنفيذ وصاياه فى وحيه و إقامة حكمه و أن يقوموا لله قومة الصادق المخلص ، لا يخشون غيره و لا يرقبون سواه ، فكل منهم مطالب بتحقيق شعار المسلمين (وجهت وجهى للذى فطر السماوات و الأرض حنيفاً و ما أنا من المشركين ، إن صلاتى و نسكى و محياى و مماتى لله رب العالمين لا شريك له و بذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .

و كيف يحقق هذا الشعار بدون تدبر القرآن و التزام نصوصه و تحكيمه فقط على نفسه و على غيره فى كل ورد و صدر ؟ لابد من ذلك و بتحقيقه يحصل البعث الاسلامى من جديد ، و تحصل الوقفة الصحيحة أمام كل جاهلية ، مهما انصبغت بالأسماء و الألقاب ، و مهما ادعت لنفسها من العلم الذى ادعاه أسلافها من الجاهليات ، إذ يقابل عباد الله خططهم بما يدفعها ويدمغها و يزهقها (و قل جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) أما الذى يتبع معهم أو يأول النصوص على وفق أهوائهم أو اكتشافاتهم أو يضرب بعضها ببعض طالباً وراغباً الراحة فى حياة بهيمية يذوب بسببها فى بوتقتهم ، أو يقتصر من كلام الله على مجرد التلاوة فهذا فيه شعبة أو شعب من النفاق شعر به أو لم يشعر ، و بعضهم يكون جاهلا ناقص الايمان ، و بعضهم فيه مشابهة للذين يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ، أو فيه مشابهة للذين لايعلمون الكتاب إلا أمانى ، أى مجرد تلاوة ، و منهم من هو سماع للقوم الظالمين ، فيه استعداد تام لقبول الكذب .

و جمع أهل هذه الأصناف مذموم عند الله كما هو صريح وحيه ، فلايكون من المحققين لعبادته بالعمل الصحيح لدينه ، و قد روى مسلم فى صحيحه عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما و يضع به آخرين) و فى الأثر المعروف الذى رواه ابراهيم بن يعقوب الجوزجانى وقدذكره الطلنكى ، حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية حدثنا عتبة عن أبى حكيم ، حدثنا عمادة بن راشد الكنانى عن زياد عن معاذ بن جبل قال يقرأ القرآن رجلان فرجل له فيه هوى

و نية يفليه فلى الرأس يلتمس أن يجد فيه أمراً يخرج به على الناس ، أولئك شرار أمتهم ، أولئك يعمى الله عليهم سبل الهدى، ورجل يقرأه ليس له فيه هوى و لا نية (١) يفليه فلى الرأس فما تبين له منه عمل به و ما اشتبه عليه و كل إلى الله ليتفقهن فيه فقها (٢) و ما فقهه قوم قط حتى لو أن أحدهم لبث عشرين سنة ليعلن الله له من يبين له الآية التى أشكلت عليه أو يفهمه إياها من قبل نفسه - قال بقـية - أشهدنى ابن عيينة حديث عتبة هذا .

نور محله القلب و مصداقه العمل

إن الصحابة الأولين إنمـا استقبلوا التنزيل نوراً محله القلب ، و مصداقه العمل ، و ما كان حفظه و تقديس حرمـته - فى وعيهم و مفاهيمهم - إلا حفظ إشراقته فى صدورهم ، و الاذعان لسلطانه فى كل شؤونهم ، و ما تصوروه قط كتاباً مجموعا يتبرك بحمله ، فانه لم يجمع إلا بعد أن أتم نبيهم البلاغ و اكتمل فى حجره التطبيق ، وأقام مجتمع الاسلام و دولته ، و ودعهم الوداع الأخير * * * إلى الرفيق الأعلى .

• سعيد رمضان ،

---

١ - يعنى بذلك نية السوء التى لا يرضاها الله .

٢ - كذا فى الأصل و لعل فيه سقطاً .

الاسلام و الحضارة الغربية

الدكتور محمد محمد حسين
استاذ الأدب العربى بجامعة الاسكندرية

و بعد ! فلنعد إلى استئناف الحديث عن حيث قطعناه فى المحاضرة السابقة و لنتابع أحداث القصة التى وصلنا معها إلى نهاية الجيل الأول : جيل الطهطاوى و خير الدين و التنظيمات ، و إلى أول المرحـلة الثانية التى بدأت مع الاستعمار .

برز فى مطلع هذه المرحلة الثانية التى نتناولها الآن بالكلام رجل غريب الأطوار يحيط بسيرته وأهدافه كثير من الغموض الذى لم تكشف الأيام حقيقته بعد ، و قد ترك هذا الرجل الغريب أثراً عميقاً فى توجيه الفكر الاسلامى والأحداث السياسية فى هذه الفترة و فيما تلاها ولايزال أثره باقياً وميسمه واضحاً حتى الآن. ذلك هو جمال الدين الأفغانى كما هو مشهور عند الناس ، أو (المتأفغن) كما كان يسميه أبو الهدى الصيادى أو الايرانى كما هو الحقيقة فى واقع الأمر .

و أول ما يريب الباحث فى أمر هذا الرجل تعميته أصله و نسبه ، فقد زعم أنه أفغانى سنى ثم أثبت البحث الحديث بأدلة كـثيرة أنه كان إيرانياً شيعياً ، و زعم أنه شريف النسب حسنى الجد و هو زعم لم يقم

عليه دليل ، و الذى يكذب على الناس فى بلده خليق أن لا يصدق فى نسبه .

أما الأدلة على أنه إيرانى شيعى فهى صريحة متعددة فى الكتاب الذى ألفه ابن أخته ميرزا لطف الله خان ، الذى كان يلازمه فى زياراته لايران ، و قد مات ابن أخته هذا سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢١ - ١٩٢٢م) فعهد ابنه صفات الله الأسد بادى إلى حسين كاظم زاده بنشره ، فنشره فى برلين لأول مرة سنة ١٩٢٦م حيث كان و لا يزال يقيم منذ أربعين سنة ثم ترجم الكتاب إلى العربية سنة ١٩٥٧ تحت عنوان (جمال الدين الأسدى بادى) .

و قد أثبت المؤلف و الترجمان بأدلة كثيرة أن جمال الدين كان إيرانياً من أسد باد (بالقرب من همدان) و كان شيعياً جعفرى المذهب و لم يكن أفغانياً من أسعد آباد (من أعمال كابل بأفغانستان) كما لم يكن سنيا حنفى المذهب على ما كان يزعمه و على ما هو مشهور حتى الآن بين الناس ، فبقية أسرته لا تزال فى أسد آباد ، و قد حقق نسبه و زار أسرته عنايت الله خان عم أمان الله خان ملك الأفغان الأسبق ، واسم والده و اسم خادمه يدلان على أنه شيعى إيرانى، فاسم والده (صفدر) يعنى (مفرق الأعداء) و هى عند الشيعة صفة لسيدنا على رضى الله عنه ، والاسم وقف على الشيعة لا يتسمى به أحد من الأفغانيين، و اسم خادمه الذى كان يلازمه دائماً و الذى تركه بعد رحيله عن مصر فى رعاية تلميذه محمد عبده هو (أبو تراب) و هى كنية سيدنا علي ، و لا وجود لهذا الاسم فى غير إيران ، و لهجة جمال الدين الفارسية تقطع بأنه إيرانى و

أصدقاؤه المقربون الذين كانوا يلازمونه فى الآستانة كانوا من الايرانيين وكان تفكيره دائماً متجها إلى إيران وإلى اتخاذها مركزاً للجامعة الاسلامية التى كان يدعو إليها كما يبدو من مقال له فى العروة الوثقى (٢ : ١٠٤ ط بيروت ص ٣٠ من كتاب جمال الدين الأسدبادى ، و المقال بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٠١هـ) و ثقافة جمال الدين الفلسفية و توسعه فى دراسة المنطق و علم الكلام إلى جانب دراسة الفقه و علم الأصول هى الدراسة الشيعية التقليدية التى تنمى ملكة الجدل و قوة الاستدلال، والدراسة السنية تتبع طريقاً آخر يقوم على دراسة الفقه و الأصول و الحديث و التفسير و اللغة و الأدب .

و لكن جمال الدين أخفى أصله الايرانى ، لأنه كان يريد أن يخفى تشيعه عن الناس فى البلاد العثمانية التى تنقل فيها ، و أهلها سنية حنفية كالأفغان ، و قد استفاد جمال الدين من انتسابه للافغان ، لأنه أصبح بعيداً عن سلطة ممثلى إيران و قناصلها فى الخارج ، و كان من السهل أن تروج أفغانيته بين الناس فى البلاد التى نزلها ، لأن أفغانستان لم يكن لها تمثيل خارجى فى ذلك الوقت ، و كان للانجليز نفوذ كبير فيها فكانوا يرعون أتباعها فى الخارج .

و مما يريب الباحث فى أمر جمال الدين و أهدافه أيضاً ، أن أكثر نشاطه كان سرياً ، فقد كان أول من أدخل نظام الجمعيات السرية فى العصر الحديث فى مصر ، و كان حيثما حل يؤسس الجمعيات السرية و ينشرها فأسس الحزب الوطنى الحر فى مصر اثناء إقامته بها ، و كان حزباً سرياً لم يمض على تأسيسه عام واحد حتى أصبح أعضاؤه ٢٠١٨٠ عضواً ، و

أصبح له رصيد ضخم فى المصارف (جمال الدين الأسد بادى ص ٦٣ ، خاطرات جمال الدين للخروى ٤٤)

و أنشأ جمعية مصر الفتاة السرية ، و أنشأ صحيفة تنطق باسمها هى صحيفة (مصر الفتاة) ولم يكن فيها مصرى واحد كما روى تلميذه محمد عبده فى كتاب (أسباب الحوادث العرابية) و كان أغلب أعضائها من شبان اليهود (تاريخ الأستاذ الامام ١ : ٧٥) فأنشأ أثناء إقامته فى الهند جمعية العروة الوثقى السرية ، التى امتد نشاطها إلى الشام و إلى مصر و إلى السودان و تونس ، وكان من أعضائها الأمير عبد القادر الجزائرى و من اختار من أنجاله و رجاله ، و منهم محمد أحمد المهدى السودانى الذى تتلمذ على الأفغانى فى مصر أربع سنوات ، و قد حفظ الجزء الثانى من (تاريخ الأستاذ الامام) لمحمد رشيد رضا عدداً من الرسائل التى تداولها محمد عبده مع أعضاء هذه الجمعية ، و هى مليئة بالاشارات و الرموز ، و بعض هذه الاشارات يدل على أن محمد عبده قد دخل سراً إلى مصر، استعداد لدخول السودان و الاتصال بالمهدى ، و مر اثناء هذه الجولة بتونس و بالشام حيث كان يعمل على (أحكام العروة و تمكين عقودها) حسب تعبيره (تاريخ الأستاذ الامام ١ : ٢٨٣ ، ٣٨٠ ، ٢ : ٥٥٣ - ٥٥٨).

و كانت صحيفة (العروة الوثقى) التى أنشأها جمال الدين مع تلميذه محمد عبده فى باريس هى الصحيفة الناطقة باسم هذه الجمعية السياسية السرية، ثم أنشأ محفلا ماسونياً تابعاً للشرق الفرنسى ، ضم إليه عدداً كبيراً من أصحاب النفوذ فى مصر بمساعدة رياض باشا رئيس الوزراء ، و هو الذى استقدمه إلى مصر و تولى رعايته فيها ، و أجرى عليه راتباً شهرياً وأعد

له مسكناً فى خان الخليلى ، و يقال إنه كان فى حارة اليهود (جمال الدين الأفغانى لمحمود قاسم ص ٢٣) .

و يتصل بهذا النشاط السرى الذى لازمه فى كل مكان تهيجه على الثورات ، و تشجيعه على تأسيس الصحف التى تخدم أغراضه و تنشر آراءه و تشيد بذكره ، فهو الذى أنشأ صحيفة (مصر) و عهد بادارتها إلى أديب اسحق ، و كان قد قدم إلى الاسكندرية للاشتراك فى التمثيل مع سليم نقاش ، ثم أسس صحيفة (التجارة) بالاسكندرية و عهد بادارتها إلى أديب إسحق و سليم نقاش ، فكانا لا يزالان يشيدان بذكره فى مثل قولهما (مهبط أسرار الحكمة واسطرلاب فلك العلوم ، واسطقس هيولى الفلسفة) إلى غير ذلك مما اعتادا أن يصفاه به (تاريخ الأستاذ الامام ١ : ٤٥) و قد طلب إلى تلميذيه محمد عبده و ابراهيم اللقانى أن يساهما فى تحرير صحيفة (التجارة) و كان هو نفسه يشترك ببعض مقالات يوقعها باسم مستعار هو (مظهر بن وضاح) .

و ليس مهما أن تكون المبادىء التى تنشر على الناس وتذاع سليمة أو منحرفة ، فالذى ينشر على الناس دائماً نظيف و سليم ، و لكن المهم هو أن الذين يشتركون فى التنظيمات السرية يجهلون دائماً حقيقة أهدافها. و لا يعرفون إلا ما يريد رؤوس التنظيم السرى أن يعرف بين الناس ، و الدارس لتاريخ الدعوات السرية فى الاسلام ، و لتاريخ الباطنية أو الاسماعيلية على وجه الخصوص ، يرى الشاهد على ذلك أن يدعم بالدعوة إلى إعلاء كلمة الله ، وإنصاف المحرومين، وانتهاهم آخر الأمر إلى عقيدة فلسفية تنكر الأديان ، و تخوض فى دماء المسلمين ، و غاراتهم على قوافل

الحجاج ، وتنكيلهم بهم فى المسجد الحرام أمر مشهور فى كتب التاريخ

و قد غمس جمال الدين يده فعلا فى الدم الحرام ، و كان مستعداً دائماً لأن يغمس يده فيه فهو مسؤل عن اغتيال ناصر الدين شاه إيران، كان لا يزال يؤلب عليه فى كل مكان منذ طرده من إيران سنة ١٨٩١م و أخرجه من الضريح المقدس عند الشيعة الذى كان قد عاذ به و لجأ إليه و هو (بقعة حضرة عبد العظيم المقدسة) فاتصل برجل هارب من إيران يدعى (ميرزا رضا الكرمانى) و حرضه على قتله ، فتسلل إلى إيران و اغتاله سنة ١٨٩٦ فى المكان نفسه الذى طرد منه الأفغانى (جمال الدين الاسدبادى ص ٧ ، ١١٣ ، ١١٦ تاريخ الأستاذ الامام ١ : ٤٥) و قد فكر الأفغانى بموافقة محمد عبده فى اغتيال الخديوى اسماعيل اثناء مروره على كوبرى قصر النيل ، لأن جمال الدين كان متفقاً على برنامج الحكم مع ابنه توفيق ، الذى كان قد نجح فى ضمه إلى محفله الماسونى ، و قد اشترك من بعد مع نوبار باشا فى السعى لعزل اسماعيل (تاريخ الأستاذ الامام ١ : ٧٤) .

وليس مهما أن يكون الذين اشتركوا فى اغتياله أو دبروه و فكروا فيه مفسدين أو مصلحين ، و لكن المهم هو أنه كان يتخذ الاغتيال وسيلة من وسائله السياسية ، و يخوض الدماء فى سبيل الوصول إلى أهدافه ، و هو ما لا يحله الاسلام و لا يفعله مسلم يؤمن بالله و يخشى عذابه ، و يقف عند حدوده ، و هو يذكرنا مرة أخرى بوسائل الاسماعيلية الباطنية و لا سيما الحسين بن الصباح صاحب قلعة (الموت) .

إن الدارس المدقق لسيرة جمال الدين لا يملك إلا أن يتوقف

أمام كثير من الظواهر الغريبة فى سيرته ، إنه يتساءل فيم تنقله السريع المفاجئ الذى لا يفتر بين إيران و بلاد الأفغان والهند والحجاز ومصر و تركيا و فرنسا و النمسا و انجلترا و روسيا ، و فيم هذه الأزياء المختلفة التى كان يلبسها لكل بلد ، والتى يحفل بها كتاب ابن أخته ميرزا لطف الله خان ؟ فهو فى زى عربى تارة و زى علماء الشيعة تارة أخرى ، و مع جماعة من كبار علمائهم و مجتهديهم تارة ثالثة ، و فى طربوش تركى تارة رابعة ، و فى زى أفغانى تارة خامسة . فيم كل هذا و باغى الخير لايحتاج إلى التستر و التخفى ، و إنما يتخفى المريب ؟ ؟

و من أين كان ينفق على هذه الرحلات و فيم كانت صلته بالمستربلنت ، ذلك الرجل الغريب الذى كان لا يفتر عن التنقل بين مضارب الأعراب فى مصر ، و فى سوريا و فى نجد . يدعو المصريين إلى الثورة و يتكلم بعد وقوعها باسم عرابى ، و يقدم له صوراً مضللة عن صفته الرسمية و قدرته السياسية ، و قوة الجيش الانكليزية ، ثم يدافع عنه بعد اعتقاله و يدعو العرب إلى انشاء دولة عربية . لأن الدولة العثمانية على و شك السقوط و الانحلال . و لا ينبغى أن يشاركها العرب هذا المصير ، فيجب أن يكونوا دولة عربية حليفة لانجلترا ، تصبح قصراً للخلافة الاسلامية و يكتب فى ذلك كتابه المشهور الذى سماه (مستقبل الاسلام) (The Future of Islam) و الذى كان مصطفى كامل زعيم الحزب الوطنى فى مصر أول من تنبه إلى خطورته ؟ فيم كانت صلة الأفغانى بهذا الرجل ، ينزل ضيفاً عليه عندما زار إنجلترا ، و يكتب إلى محمد عبده من بورسعيد و هو فى طريقه إليها يطلب إليه أن يكون رده

بعنوان المستربلنت ؟ بل فيم كانت صلته بانكلترا يلجأ إلى سفيرها فى الآستانة لكى يساعده على الخروج من تركيا حين غضب عليه السلطان عبد الحميد (تاريخ الأستاذ الامام ١ : ٧٢)

و باسم من كان يفاوض الانجليز فى الوصول إلى اتفاق مع تركيا ضد روسيا ؟ و مع المهدى للاعتراف باستقلال السودان ؟ و ما هذا الخليط من اليهود و النصارى الذى يجتمع حول الرجل الذى كان صوته أعلى الأصوات فى الدعوة إلى الجامعة الاسلامية ، و فى التنفيد نفساد المجتمع الاسلامى و الدعوة إلى إصلاحه ؟ سليم نقاش صاحب الكتاب الذى يحمل عنواناً غريباً فى إبان الدعوة إلى الجامعة الاسلامية ، و هو (مصر للمصريين) شامى نصرانى و أديب اسحق من نصارى الشام أيضاً ، و كان إذا ذكر بعد موته فى مجلس الأفغانى جاشت نفسه بالحزن ، و هو يقول (إنا لله و إنا إليه راجعون) و طبيبه الخاص يهودى يدعى هارون و قد كان هو و نصرانى آخر يدعى جورجى كونجس ، هما اللذان شهدا احتضاره وحدهما (تاريخ الأستاذ الامام ١ : ٩٣)

و الذى كان يساعده فى تحرير صحيفة العروة الوثقى مع محمد عبده رجل مريب من إيران يدعى ميرزا باقر كان قد تنصر و صار داعية للنصرانية هناك ، مع جمعية للبشرين ، ثم عاد إلى الاسلام ليشارك فى تحرير الجريدة الداعية إلى الجامعة الاسلامية (المرجع السابق ١ : ٨١٧) ومجالس لأفغانى كانت تضم خليطاً من المسلمين و النصارى و اليهود، هذا بالاضافة إلى ما أشيع من أنه كان ينزل فى حارة اليهود ، و من أنه ألف جمعية سرية أعضاؤها من شباب اليهود . و لماذا كانت عداوته الشديدة

للاستعمار الانكليزى وحده ، دون الاستعمار الفرنسى والاستعمار الهولندى فلم ترد فى صحيفة العروة الوثقى إشارة للاستعمار الفرنسى للجزائر ، كما لم ترد فيها إشارة للاحتلال الهولندى لاندونيسيا ، و لم تشر الصحيفة إلا إشارة عابرة لاحتلال الهند الصينية .

نحن نعرف أن الأفغانى كان ينتسب حين دخل مصر إلى المحفل الماسونى الاسكتلندى ، ثم اختلف معه فتحول إلى المحفل الماسونى الفرنسى (خاطرات جمال الدين للخزومى ص ٤١ - ٥٠) فهل كانت عداوته للانكليز مبنية على هذا الخلاف مع المحفل الماسونى الاسكتلندى مع ما هو معروف من استغلال الاستعمار للحافل الماسونية ، إلى جانب ما هو معروف من صلها بالصهيونية ؟

﴿يتبع﴾

مدح السلطان

إتفق أن الملك الظاهر بيبرس لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة أبدع الخطيب بألفاظ حسنة يشير بها إلى مدح السلطان و أطنب فيه ، فلما فرغ من صلاته أنكر عليه الملك الظاهر و قال : ما لهذا الخطيب يقول فى خطبته : السلطان ، السلطان ، ليس شرط الخطبة هكذا ، وأمر به أن يضرب بالمقارع ، فتشفع له الحاضرون ، هذا مع كمال علم الخطيب و صلاحه و ورعه .

السيد رشيد رضا فى (المنار)

إلى ممثلى البلاد الاسلاميه

سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

هل إذا اطلعتم ، يا سادتى ! على بلاد إسلامية و رأيتم هذه الأمة فى غدواتها و روحاتها إلى الأسواق و الادارات ومصالح الحكومة ، عرفتم أنها أمة خلقت لشئ آخر ، و بعثت لغرض آخر ، أسمى من هذه الأغراض التى يسعى لها الكافر و المؤمن ؟

إن هذا الأسلوب من الحياة لحجة ظاهرة لأهل الجاهلية على المسلمين فلو نطقوا لقالوا : « ما ذنبنا ، أيها المسلمون ! إذ عرضنا على نبيكم المال و السيادة و الملك فأبى و رفض كل ذلك ؟ ألا نراكم تسعون اليوم وراء الذى رفضه نبيكم بالأمس ، كأنما خلقتم لأجله ؟ فأى الفريقين أشد ذنباً أمن عرض على محمد ﷺ المال و السيادة و الملك ، تفاديا من الخلاف و النزاع ، فأبى و رفض ، أو من تهافت على ما رفضه سيده تهافت الظمآن على الماء ، و الفراش على النور ؟

و إذا كنتم اليوم لا يهمكم إلا المال أو الجاه أو الشرف ، أوحكم على قطعة أرض فلماذا تظاهرتم الأمس بالدين و أقمتم الدنيا و أقعدتموها لأجله ، و كدرتم علينا صفو العيش ، لقد كنتم و كنا فى غنى عن هذه الحروب الطاحنة التى أيتمت البنين و أيمت النساء و أجلت الناس عن الأوطان !

أعيدوا إلينا إذاً تلك الدماء التى أريقت فى ساحة بدر ، و أحد ، و حنين ، و خيبر ، و اليرموك ، و القادسية ! و أعيدوا إلينا تلك النفوس التى قتلت باسم الدين ! و أعيدوا إلينا تلك الأيام التى كنا نعيش فيها فى وئام وهدوء ، لانعرف فيها إلا الأكل والشرب وقضاء مآرب النفس !

و ماذا يكون جوابنا لو تعرض أحد من أخلافهم الأحياء و قال : « ما غناكم ، أيها المسلمون ! لقد ساهمتمونا فى أسباب الحياة و خلقتم لنا فوق ذلك مشاكل كثيرة فى الحياة السياسية و الاجتماعية ، و لا نراكم تسدون عوزاً ، أو تصلحون خللا ، أو تلمون شعثاً ، أو تقيمون زيغاً فى الحياة ؟ »

عفواً ، أيها السادة ! و سماحا ، أيها الكرام ! فقد طال العتاب ، و قديماً قال الشاعر العربى :

و فى العتاب حياة بين أقوام

إن حياة الأمم ، أيها السادة الكرام ! بالرسالة و الدعوة ، و إن الأمة التى لا تحمل رسالة ولا تستصحب دعوة حياتها مصطنعة غير طبعية، و إنها كورقة انفصلت من شجرتها ، فلا يمكن أن تحيا بسقى أو رى ، فأما الزبد فيذهب جفاءً و أما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

إننا ، أيها السادة ! أمة الحاضر و أمة المستقبل ، قد كتب لنا الخلود و النصر ، لأننا أصحاب دعوة و رسالة نبوية ، و هى الرسالة الأبدية التى قضى الله بخلودها وظهورها ، فلسنا تحت سيطرة المادة وحكم الزمان بشرط أن نقوم بدعوتنا و نستقل برسالتنا و نعود أمة دعوة نبوية

كما بدأنا ـ دعوة فى ما بيننا معشر المسلمين ، و دعوة فى غيرنا من الأجانب فى الدين

لقد تخلفنا عن الأمم المعاصرة فى العلوم الطبعية و الأسباب الحربية و فى الأخذ بأسباب الرقى المادى بعدة قرون ، و قد كانت المسابقة بيننا و بينهم كمسابقة الأرنب و السلحفاة ، إلا أن الأرنب كان ساهراً مع خفته و سرعته ، و السلحفاة نائمة رغم بطئها و ثقلها ! فلو جارينا هذه الأمم اليوم لاستغرق ذلك قروناً ثم كانت المقارنة بحساب دقيق ، فاذا فاق العدو و سبقنا بشعرة فى القوة المادية و العدد الحربية رجحت كفته، لأن المادة عمياء و هى من القساوة و الحياد التام بمكان لا تفرق فيه بين المحق و المبطل و الشريف و الوضيع .

و لكن الدعوة و الرسالة ـ و هى الروح التى تقهر المادة و تسخر الأسباب و تستنزل النصر ـ تأتى بخوارق و معجزات ، و طالما قهرت القاهر و فتحت الغالب . و طالما خضعت الحكومات القاهرة و دانت الملوك الجابرة بقوة الدعوة و الرسالة للمماليك، والصعاليك و قد جربت ذلك هذه الأمة مرتين بوضاحة فى التاريخ .

مرة ، لما خرج العرب من جزيرتهم إلى البلاد الرومية والفارسية فى ثياب صفيقة مرقعة و فى نعال وضيعة مخصوفة يحملون سيوفا بالية الأجفان ، رثة المحامل ، على خيل قصيرة مقطعة الغرز ، و سرعان ما قهرت دعوتهم ورسالتهم و حياتهم الامم الرومية و الفارسية التى كانت كدمى كيست حللا فاخرة ، و أعواداً أسندت إلى الجدار لحرمانها من رسالة ، و قعودها عن دعوة ، و كان الانتصار فى الأخير للرسالة على

النظام ، و للروح على المادة ، و للمعنى على الظاهر .

و مرة ثانية ، لما قهر التتر ـ ذلك الجراد المنتشر ـ العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، و خضدوا شوكة المسلمين ، فلم تقم لهم قائمة ، و لم يقف فى وجههم واقف ، وكاد المسلمون يصبحون أثراً بعد عين ، و استولى اليأس على قلوبهم حتى كان من الأمثال السائرة : « إذا قيل لك إن التتر انهزموا ، فلا تصدق » هنالك فعلت الدعوة الاسلامية فعلها ، و نفذت فيهم ، فاذا القاهر يصبح مقهوراً ، و إذا الفاتح مفتوح لدين المفتوحين ، و إذا التتر يتلفظون بكلمة الاسلام ، و يدينون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، ويصبحون أمة إسلامية .

و إن الرسالة الاسلامية لتأتى بالمعجزات اليوم و تقهر الامم طوعا ـ لا كرهاً ـ بسلطانها الروحى و نفوذها العجيب .

إن آباءكم ، أيها السادة المسلمون ! قد انتشروا فى عواصم الجاهلية الاولى و مراكزها الكبرى يقولون « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الاديان إلى عدل الاسلام » و خلصوا الامة الرومية من عبادة المسيح و الصليب و الأحبار و الرهبان و الملوك ، و خلصوا الأمة الفارسية من عبادة النار و عبودية البيت الكيانى ، و الامة الطورانية من عبادة الذئب الابيض ، و الأمة الهندية من عبادة البقر ، و أخرجوها إلى عبادة الله وحده ، و أخرجوها فعلا من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام ، و العالم ينتظر منذ زمان رسل المسلمين ينتشرون فى عواصم الجاهلية الثانية ، يهتفون : « الله ابتعثنا لنخرج العباد

من عبادة المادة و البطن ، إلى عبادة الله وحده ، و من ضيق عالم التنافس و الأثرة و الجشع المادى إلى سعة عالم القناعة و الايثار و الزهد و نعيم الروح و طمأنينة القلب ، و من جور النظم السياسية و الاجتماعـية إلى عدل الاسلام .

هذه هى الدعوة التى تهيب بكم ، يا رجال العالم الاسلامى ! و هذه الانسانية البائسة تستصرخكم و تستغيثكم عـلى أعدائها و ليس العالم اليوم بأقل ظلماً و أقل فاقة إلى الدعوة الاسلامية الصحيحة منه بالأمس ، و إنه لا يختلف عما كان عليه فى القرن السادس المسيحى ، فهو غنى اليوم فى كل ناحية من نواحى الحياة ، و فى جميع الحرف و الصناعات ، و قد ضاق بالأمم و الحكومات ، و طفح بالأعلام و الرايات ، و فاض بالحركات و الدعوات ، وضجر بطغيان الأهواء والنزعات . وثورة الأغراض والشهوات ، فهو فى ذلك لا يقبل علاوة ، ولايسمح بزيادة ، فاذا لم يكن المسلمون إلا أمة من الامم ليست لهم دعوة إلى الله و لا رسالة للانسانية المحتضرة ، و لم يكن لهم هم إلا أنفسهم وبطونهم لم يكن هناك ما يبرر تاريخهم الماضى الذى افتتح بالدعوة الدينية و الجهاد فى سبيلها ، و لا ما يبرر وجودهم فى هذا العصر ، فانما نصروا واستبقوا بشريطة القيام بالعبادة والدعوة إليها .

والدعوة إلى الله هى الناحية الوحيدة التى لاتزال فارغة فى خارطة العالم ، لاتشغلها أمة ولادعوة ، فاذا عمرها المسلمون أحسنوا إلى الانسانية و إلى أنفسهم ، وأمسكوا هذا العالم المتمدن الذى قد كان يهوى فى الهاوية .

- الدعوة الاسلامية ليست ضرورة خلقـية و حاجة اجتماعية و مصلحة بشرية كما يزعمها بعض المسحورين الذين يخافون على أنفسهم تهمة الرجعية فى كل حين بل إنها قبل كل شئ ، الطريق إلى الدار الآخرة ، ، و إن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ،
- إنها تختلف عن سائر الدعوات فى التفكير و المنهج والعمل ، و تجمع بين الشعور و الوجدان و العاطفة و العقل ، و تهتم بالفرد الواحد مثلما تهتم بمجموعة الأفراد .
- إنها دعوة الأنبياء و المرسلين ، والخلفاء الراشدين ، و الصحابة و التابعين و هى تريد أن تحافظ على خصائصها و سماتها ، و قسماتها و ملامحها رغم سيل المادية الجارف ، ورغم سيطرة القيم الغربية ، ورغم ، العـــلم المزعوم و الموهوم ، و رغم ما يعانيه ، المتحضرون ، من ضيق الصدر و مركب النقص ، وما يعتريهم من خجل وحياء و استكاف عن تمثيل هذا الطراز القديم الكريم ، الذى وعد الله به النصر المبين فى الدنيا و الدين .

الدّعوة الإسلاميّة

المنابع الفلسفية لمادية الغرب

(٢)

الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة

تعريب : السيد ضياء الحسن الندوى

و قد اكتشف طلاب « النهضة العلمية الحديثة » Renassance بعد الاصلاح البروتستانتى بقليل ، سلاحا فاتكا جداً ضد الكنيسة ألا *** و هى العلوم .

و قد لخص فرانسس باكون Francis Bacon (1561-165) روح العصر الحديث فى اطلانتيس الجديدة The New Atlantis سفينة انجليزية ترسى على الجزيرة التخيلية ، فى أقاصى المحيط الهادى . و تمتاز السفينة خاصة بأنها كانت معهداً كبيراً فى ذاتها ، خصص للبحوث العلمية ، وكان الحاكم يعامل راكبى السفينة بمنزلته هذه فيقول « إن منتهى بنائنا هو علم الأسباب و الحركات السرية للاشياء و توسيع حدود « الامبراطورية البشرية » إلى أن تحيط بجميع ما يمكن »

و استمر ديسقارتيز Descartes (1596-1650) فى توسيع المنهج التجريبى حينما أخذ فرانسس باكون يرفض تماما سيطرة ارسطو و ينكر الفلسفة العلمية المختصة بالعصور الوسطى فى سبيل اكتشاف الحقيقة الجديدة عوضاً عن مجرد إثبات ما كان معلوما من قبل ، و الطبيعة ـ عند فلاسفة الغرب امثال ديسقارتيز ـ ليست بشئ أكثر أهمية من آلة لا تملك ميزة

روحية ، كما أن الأشياء ذات الحياة كلها بما فيها الانسان ليست إلا نتيجة التفاعل الكيماوى الأوتوماتيكى Automatic Chemical Reaction .

« هات بالمادة ، اهتدى ديسقارتيز » و سأشيد الكون »

و إن أبطال «عصر الاستنارة» كما يسمونه هؤلاء بما أنهم قد قنعوا بفلسفة نيوتن Newton (1643-1727) التى تقول : إن القوانين الرياضية اللامتغيرة أبداً هى التى قد نظمت الكون أجمع ، زعموا أنه يجب أن نقضى على جميع المعتقدات و المبادىء التى تعارض تجارب الانسان و مشاهداته المادية ، و قد استهزأوا بالمعجزات و الوحى و النبوة والالهام و بسائر المعتقدات والشعائر الدينية و لم يهتموا بها إلا اهتمامهم بخرافات و أوهام ، كما زعم فولتير Voltaire (1694-1778) ، أن الله قد خلق هذا الكون كصانع الساعات ، يرتب ويصنع الساعة مرة ثم لايدوم بينه وبين ما صنع أى صلة فى المستقبل ، وقدرفض هيوم Hume(1711-1776) كذلك جميع المعتقدات الدينية بناءاً على عجز الانسان من إثبات هذه المعتقدات و لم يرفضها عقلا ، و إنه هاجم إله فولتير العاجز المحروم كل سلطة أصلا ، و صرح بأن الانسان قد عرف ساعات تصطنع و لكن لم يعرف عوالم تبتنى ، وإذا كان هناك خالق لهذا الكون فيمكن أن يكون ذلك صناعا فقد براعته ، أو أن يكون قد مات مباشره بعد اتمام عمله أو أن يكون ذلك ذكراً أو أنثى من إله أو إلهة أكثر من واحد ، كما يمكن له أن يكون خيراً كله أو شراً كله أو كليهما أولا شئ منهما ، و لأغلب أن يكون هذا الأخير ـ إن حجة هيوم ضد وجود الآخرة (العقبى) تجرى هكذا :

لانعرف سبباً يبرر لنا استنتاج بدل أخروى من هذه الحياة حيث أخفقت فلسفة الجوائز و العقوبات فى مسايرة أحداث الحياة إخفاقا فاضحاً فكيف ستساير تلك الفلسفة و تلائم معها فى ذلك البدل ؟

قد اعتبروا الأخلاق علماً كعلوم الحساب و الجغرافيا و الكيميا و غيرها مستقلا عن الدين استقلال فروع أخرى من المعرفة البشرية ، وقد اتفق الفلاسفة أمثال ديدرويت Diderot و روسيو Rousseau على أن رغد العيش و نفعيته هى التى تبرر وحدها وجود الأخلاق ، و يجب أن يحرز الرجل أكثر ما يمكن من سعادة الحياة المادية و سرورها بحيث لايحرم زملاؤه سهامهم الحقيقية ، و كل صلة تجلب شيئاً من سرور مادى لذويها سوف لا تكون إلا نافعة على كل حال ، فنتج ذلك أنهم لايرون شيئاً من الخير فى مطالبات العفة والطهارة التقليدية بين الجنسين .

و قد اعتقد أنصار الاستنارة - بعد ما قضوا على كل ما يعتبرونه من زلات الماضى و ضلال القدماء - أن العلوم و قوى الادراك التى انتشرت بفضل التثقيف و المعارف العالمية ، سوف تديل فردوساً عملياً حقيقياً على الأرض ، و الانسان - اليوم - إذا كان قد احرز القوى السحرية للعلوم فمن إمكانه - بطبيعة الحال - أن يكون قدره و يبنى مستقبله ، والحرية والسوية الاقتصادية الاجتماعية و السلام العالمى سيسود على العالم أجمع ، إن المعرفة والعلوم المتسعة الارحاب دائماً سوف تقضى على سائر الأمراض و الآلام - مرة للأبد - داعية إلى تطويل مدى الحياة الانسانية على سبيل غير محدود. كما أن الثورات العلمية التكنولوجية فى هذا القرن العشرين قد عملت لتوكيد هذا « الايمان الجديد » بتمامية

الحياة البشرية على هذه الأرض بدون ما استعانة من القدرة المطلقة الفوق الطبيعية .

و قد أحدث داروين (1809-1882) Darwin بنظرية ارتقاء البشر من أدنى أنواع الحياة مقياساً جديداً لتقدير القيم الخلقية ، وأخذ الفلاسفة يرون المجتمع البشرى فى حالة مستمرة من كر وفر ، وتغير دائم لايزال يقوده إلى أرفع أدوار التقدم و أكثرها اشتباكا وتعقيداً ، وكل ما أحبوا و رغبوا فيه فى المجتمع البشرى ، دعوه فى ضوء مبدء الارتقاء البيولوجى بأسماء بارقة « كالعصرى » و « الأخير » و « المتقدم » و « الراقى » و هلم جراً .

وجاء المؤرخون لينظروا إلى البشر كأنه من منتجات الطبيعة وجزء منها، ناشئ إلى شأنه الحاضر من أصول وضيعة دنية بجميع مكاسبه و مدركاته التى أحرزها من الكفاح الشديد ضد البيئة العدائية . و إن داروين أقنع فلاسفه الغرب بأن الانسان نوع من الحيوان كأنواع أخرى و إن كان أفضل الحيوانات ذوات اللبن من غير شك و لكنه حيوان ليس غير ، حتى إن وليم جيمس (1842-1910) W. James قد أبدى ريبته فى فائده استبقاء تصور الوعى أو الشعور الانسانى الذى لا يدرك بالحواس. لأن التخئيل البشرى ليس إلا نتيجة نهائية للتفاعل الكيماوى داخل الجهاز العصبى الذى تنشئه العوامل الخارجية. وإن علماء النفس مثل باولو Pavlov (1849-1936) حاولوا أن يتطلعوا على دوافع التصرف الانسانى بتأملات و عمليات و تجارب على الكلاب و القرود و الفيران .

و ما اكتشف فرويد (1859-1939) Freud من ميول اجبارية

فى اللاشعور (Unconscions Mind) الناشئة فى الطفولة المبكرة كمصدر لجميع التصرفات السخيفة فيما بعد ، قد زودت الفلاسفة العصريين بسلاح نسبى آخر ضد الديانة و الأخلاق ، و قد أكد فرويد قائلا أن الطفل الصغير هو رسم دقيق لأبويه الذين يزودانه بالحياة ويحفظانه مما ظهر من شرور و مضار و ما بطن و يخضعانه لنظام العقوبات و الجوائز بما فيه من حياة دينية عند بلوغه سن الرشد

و نفس هذا التصور أن الدين كله مما اصطنعته يد البشر ليس غير ، و إنما الأخلاق أشياء نسبية ، و ليست مطلقة ، قد رحب بها طلبة التاريخ و علمى الاجتماع و وصف الانسان (Anthropology) ترحيباً حاراً ، و كذلك حاور رولف لنطون Ralph Linton الأمريكى ، واحد من ابرز علماء هذا الفن فى دراسته للثقافات البشرية « شجر الثقافة » بأن التوحيد الغير المسالم به فى ديانتى اليهود والاسلام قد نشأ فى الحياة العائلية البطريقية المتصلة لقبائل العرب السامية ، قال لنطون :

« إن تصور الاله القادر المطلق الذى لايرضى من عباده إلا بتسليم تام و عبادة مخلصة ، مهما تراءت مرضياته و أعماله غير عادلة كان ثمرة مباشرة للحياة العائلية السامية ، و نتيجة أخرى لهذه الأنانية البالغة التى أثارها ذلك التصور كان نظام التحريم المحكم السارى فى سائر مجالات التصرف ، و قد لخصته شريعة موسى على نبينا و عليه الصلاة و السلام. و الاله شبه لأب سامى نموذجى مع صفاته الحاكمية البالغة .

و ليس ذلك ، فحسب بل إن فرويد لم يرض بالدين كما انحدر من مصدر لاهوتى قديس ، بل إنه رفض رفضاً باتاً أن يبرر المعتقدات الدينية

على أساس ما ، يقول « إنه لايبدو فى الكون وجود قوة ذات نفوذ بالغ تراقب رفاهية كل فرد بعناية أبوية وتضمهم جميعاً فى حظيرتها ليوافوا إلى منتهى سعيد ، وبالعكس إن مقادير الانسان تناقض كل مبدء عام عالمى للعدل ، فان الزلزال و الفيضان والحريق لاتفرق بين رجل بر تقى وآخر فاجر آثم غير مومن ، حتى ولو لم نحسب للطبيعة الجامدة كبير حساب ونعتبر فحسب مقادير أشخاص فيما يتوقفون على روابطهم مع إخوانهم فى النوع البشرى ، فليس هناك فى العالم قانون ـ أصلا ـ بأن الفضيلة والخير مثاب مأجور ، والرذيلة والشر معاقب ملعون ـ دائماً ـ فكثيراً مانشاهد بأم عيوننا أن الظالم المحتال واللئيم يختطف ما شاء و متى حرص من خير هذا العالم و سعادته بينما يذهب التقى البر صفر اليدين ، خميص البطن ، فاقد الحظ ، و مازالت قوى الشناعة و الهمجية و الجمود تسود فتقرر مقادير البشر ، بينما كاد تصور العدالة الالهية الحاكمة فى العالم ـ كما دل عليه الدين ـ ينعدم و يتلاشى يوما فيوما ، و لا يستطيع أيما مشروع لتحقير سيادة العلوم ، أن يغير شيئاً من حقيقة ارتباطنا و ثقتنا بالعالم الواقعى الخارجى ، و أما الدين فانما هو تخييل صبيانى مغتر يستمد روحه و قوته من حقيقة عمومية إنه يحدث كثيراً مما نخوض فيه و نغتر به بجميع رغباتنا الطبيعة .

و إن الفلسفة المادية قد بلغت أوجها بفضل بطلها الأكبر كارل Karl Marx الذى كان يرى بأن سائر المجالات المختلفة من التاريخ و الثقافة و المجتمع الانسانى ، ينتجها عوامل اقتصادية ، و إذا كان الفرد نسيج بيئته المباشر ونتيجة عمل ارتقائى فى مجتمع مادى لا غير ، فلابد أن

تنشأ من جوانبها بيئة نبيلة متراصة ، فان المبدأ الماركسى هو المسؤل إلى حد كبير عن الحضارة الغربية كما هى اليوم . و قد فازت المبادىء الماركسية بقبول حماسى فى أمريكا كما فازت به فى روسيا بغير ما اختلاف بين هذين المجتمعين إلا أن هذا الآخر صادق جدى مخلص فى الكفاح لواجبه و ذلك الأول كاذب هازل ذو دهاء و نفاق .

وقدشرح برتراند راسل الفلسفة المادية إلى حده الأقصى حين قال:

«أما أن الانسان أنتجته أسباب وعلل ليست فى شئ من الأهداف التى يكافح لحصولها إلا أن أصله و نشأته و آماله و مخاوفه و غرامه و معتقداته ليست إلا حاصل اجتماع عرضى للذرات . و ليس أى مبلغ من البطولة أو قدر من عميق العواطف و المشاعر يستطيع أن يحتفظ بالحياة وراء القبور ، و إن سائر مجهودات بذلت طيلة العصور وعبادات خاشعة مخلصة ، و جميع استنارات الذكاء البشرى ، كل ذلك لا تهدف إلا إلى خمود فى انحلال شامل للنظام الفلكى بحيث لابد أن يدفن هذا الهيكل الشامخ لمكاسب الانسان بتمام روعه و بهائه فى أنقاض الكيان الخرب و يمزق كل ممزق ، كل هذه الأشياء ثابتة متأكدة بلا ريب حتى لا تكاد أى فلسفة تنتعش مادامت لا تعترف بوجوبها ، و فى صقالة هذه الحقائق و على أساس متين من يأس غير خاضع أبداً ، يستطيع الانسان أن يبنى عاداته بصيانة الذات .

و لقد ساق شوبنهور Schopenhuur الفلسفة المادية إلى نهايتها العقلية فانه يلبس روح الحياة فى عمل قلق مضطرب ، بغير هدف خاص فى قوة غير معقولة تماما .

إذا كانت أساس كل أمل الحاجة و شعور النقيصة و الألم فطبيعة البشر و الوحوش أصلا و فى وقت واحد ، و روح تلك الطبائع أيضاً، كلها عرضه للكلفة و الآلام ، و إذا حرمت تلك الطبائع - على يد أخرى - أهدافها من الآمال بفضل مرضاة رخيصة جداً فمثل هذه السآمة والفراغ يملأ القلب حزناً على أن الحياة قد أصبحت عبئاً ثقيلا لاتحمل، و الحياة هكذا تتدلى كالبندول من الألم إلى السآمة ، و من السآمة إلى الألم. إن الحياة بحر ملئى بالصخرات والدرادير التى يريد البشر أن يتجنبها باهتمام أكبر و قلق بالغ ، و إن كان يعرف البشر جيداً أنه مع أتم جهوده و براعته ، إنما يدنو شيئاً فشيئاً من غرق السفينة . الموت الهائل، وكل إنسان ومدى حياته ليس إلا حلم قصير حلمته روح للطبيعة السرمدية، و عزم الحياة الثابت ظل آخر زائل رسمت منه الطبيعة فى غير ما اعتناء خطوطاً فى صفحاتها الغير المحدودة ، و آذنت للبقاء لمدة قصيرة جداً ، ثم يندرس البقاء و يتلاشى حتى يخلى السبيل لغيره

وقداضطر فرويد إلى الاعتراف بأن العلوم لاتسد فراغا أورثه الدين الحق ، بعد ما جحد (كلية) بجميع القيم الايجابية للعتقدات الدينية فقال :

« إن العلوم - غير أنها تشدد على العالم الحقيقى - قد اتسمت بصفات سلبية فى جوهرها و انحصرت بصداقة مادية ملموسة كما رفضت الأوهام والعواطف والتخييل رفقاً باتاً ، و بعض من لم يقتنعوا من زملائنا بهذه الظروف الحالية بعد، و تمنوا شيئاً آخر لرضاهم العقلى الموقت ، ينبغى لهم أن ينشدوها حيث يسهل لهم وجودها ، أما نحن فلا نستطيع أن نساعدهم فى ذلك .

الميزة الاساسية لنظام الخلافة

فضيلة الشيخ محمد اسحاق الندوى
(مغرب)

إن الاعتراف بالعبودية مما تقتضيه الفطرة البشرية ، لأن وجدان (Intuitisn) كل إنسان يشهد بعجزه و خضوعه أمام القوانين الطبيعة و التكوينية ، إنه يشعر بقوة خارقة وراء تلك القوانين تملك زمامها و تصونها من جميع القوانين الوضيعة غير الطبعية و الحوادث التى تمر بها ، و هو عندما يشعر بذلك و يتأمل فيه يحنو رأسه أمام ذات الله سبحانه و تعالى الذى يفوق كل قانون و حكم ، و يعترف بعبوديته

إن مقتضى الفطرة هذا لا يتقيد بهذا الوضع لظهوره إذ أنه يتجلى فى مظهر التنازع للبقاء ، لأن دافع البقاء الدائم الطبعى يضطره إلى أن يفكر فى علة وجوده فى هذا الكون ، إن الخضوع لخالق الوجود والخنوع أمامه هى الحيلة الناجزة التى تبقى على وجوده و تصون كيانه من أن يتمزق و يتبعثر ، أو أن نخلع عليه لباس الوجود القشيب الجميل بعد هذه الحياة . تلك هى الحيلة التى فطر عليها الانسان فهى حاجته الطبعية ، لا تحتاج إلى تعليم أو تربية .

و قد تجد عقيدة الاله سبيلا آخر نحو التفكير الانسانى ، فان قلب الانسان لا يطمئن و لا يهدأ ما لم تتجل فيه فكرة ذات يعتبرها فوق كل شئ ، تلك التى تأخذ بيده عند كل نازلة تنزل أو حادثة تحدث و تقيه

من مخالب اليأس ومزالق الحياة حينما تعجز كل حيلة ، و ينتهى كل أمل إنها ذات الله سبحانه وتعالى الذى إذا اتصل به العبد واعترف له بعبوديته طابت حياته و هنأ عيشه .

و مادام الانسان إنساناً ولم تتغير فيه طبيعته وفطرته لاتبطل فكرة الاله فى ضميره وشعوره ، ولا يمكن القضاء على دافع العبودية فى قلبه ، إن فكرة الاله هى النقطة المركزية التى لايختلف فيها العالم البشرى ولكن الخلاف إنما يقع فى تعبير هذه الفكرة و تقريرها أو بكلمة أخرى فى تفاصيلها .

أما حياة العبودية فتستوجب أن يعيش الانسان فرداً وجماعة وفق تعاليم الله سبحانه و تعالى و مرضاته ، و الذين يفصلون النظام السياسى عن هذه الفكرة و لا يخضعونه للاطاعة و الهداية إنما يرتكبون انحرافا عن الفطرة و ثورة على الله سبحانه و تعالى ، لأن الاسلام لايفصل بين جزء وجزء من حياة الانسان بل يهيمن على كل جزء ويسيطر على كل ناحية منه .

إن النقطة المركزية والحجر الأساسى لنظام الخلافة إنما هى عقيدة التوحيد و الشعور بالعبودية لله سبحانه و تعالى ، و تتمثل هذه العقيدة و الشعور فى الحياة الاجتماعية بشكل النظام السياسى الاسلامى ، فالامتثال لأوامر الله سبحانه و تعالى و تنفيذها فى المجتمع البشرى هما روح نظرية الخلافة و حقيقتها فى الاسلام .

و تلك هى الميزة الأساسية لنظام الخلافة التى تميزه عن جميع النظم السياسية فى العالم ، إنه كفرع يتفرع من جذع شجرة الايمان التى تتأصل جذورها فى الفطرة الانسانية نفسها و هو ظل لفكرة الاله المطلق ، وميزة الاسلام الكبرى .

و من هنا يمتاز نظام الخلافة بطبيعته و تركيبه عن جميع نظم العالم السياسية لأنه يتفق و طبيعة الانسان تمام الاتفاق ، أما النظم السياسية الأخرى فقد انحرفت عن الطريق و حاربت الفطرة وثارت على مقتضياتها و قد يوجد هذا الانحراف على نوعين :

(١) الفكرة المخدجة للاله التى تمثلها الديانات الأخرى غير الاسلام هى المسؤلة عن النظم السياسية التى تغاير الفطرة الانسانية والطبيعة البشرية بالرغم من انتمائها إلى الدين . ولاحاجة لنا إلى شرح الفقر العقلى والخواء الروحى فى المجتمع الذى خضع للخالق ودان به معرضاً عن الخالق الحقيقى فان نظرية الخلافة الالهية فى المسيحية المحرفة و نظريات الحكومة الدينية و حكومة الأوثان والأصنام فى تاريخ الهند الماضى أمثلة لهذا الانحراف العقـــلى .

(٢) النوع الثانى للانحراف هونظرية الحكومة العلمانية Secular State التى تصادم نظرية الخلافة فى الاسلام و تعارضهـا تماما ، و تتلخص فى إقصاء فكرة الاله و الدين عن الحياة العملية مطلقاً ، وتتفرع منها نظريات سياسية أخرى مثل الديموقراطية و الدكتاتورية فى العصر الحديث

أما الميزة الأولى للخلافة هى أنه بناء دينى خالص يقوم على أساس عقيدة التوحيد و فكرة الاله الخالصة ، التى تنبع من الفطرة الانسانية و و دافع العبودية المنزه ، إن هذه الخصيصة للخلافة تدلنا على خصيصة أخرى لا تقل عن الأولى فى أهميتها و خطورتها بل و قد تفوق الأولى فى تقريب النظام الاسلامى إلى الأذهان ، و هى الحاكمـــية Sovereign التى تعتبر المحور الأساسى الذى يدور حوله .

و يمتاز النظام الاسلامى فى هذه الناحية عن جميع النظم السياسية فى العالم لأنه لا يرى حق الحكم إلا لله فيوجه الحاكمية إليه سبحانه وتعالى الذى يملك الكون كله ، إنه ينادى بأن الحكم لله ، و هو الحاكم الحقيقى الذى لا حاكم فوقه ، فيقول القرآن : « و لله ملك السموات و الأرض » و إذا درسنا مفهوم الحاكمية السياسى فى ضوء القرآن والسنة نجد شواهد كثيرة تؤيد هذا المفهوم .

إن الحاكمية مخصصة بخالق الكون و مدبره الذى يستوجب طاعته على كل من خلقه ، فله الخلق و الأمر ، و كل أمره قانون ، و هو أرفع من أى قانون أو دستور .

و فكرة الحاكمية هى الجزء الأساسى فى نظام الخلافة ، و هى تحتل محل الشمس فى النظام الشمسى ، إن وجود هذا النظام تابع لفكرة الاله الحقيقى ، و مرتبط بها ، و هو من خصائص الاسلام الكبرى ، وقد نجد بازاء هذا النظام نظما سياسية ميتة أو كادت ، لأنهـا مجموعة تعارضات و أضداد و أعنى بذلك أنها تحمل بيد واحدة راية الدين و بيد أخرى لواء الحاكمية لغير الله ، و أولئك هم الذين قال الله عنهم « و ما قدروا الله حق قدره » .

و ذلك ما يجعل الخلاف بين قادة الحكومات العلمانيـة و دعاتهـا يتفاقم ويشتد ، لأن كل واحد منهم يتدابر و يتآمر للحصول على الحاكمية و الاستبداد بها دون غيره ، و من هنا يتضح فضل الاسلام فى إسناد هذا المنصب الكبير إلى الله سبحانه و تعالى .

إذا قارنا بين فكرة الحاكمية لله سبحانه وتعالى التى يقدمها الاسلام

و بين فكرتها التى يقدمها أدعياء بعض الأديان ، تضينا العجب مما فعلوه و حرفوه ، و لا أعتقد أن تنشأ حكومة من فكرة الاله المخدجـة عدا حكومة علمانية أو ما يشبهها ، فهل ترفع هذه الفكرة الناقصة بصاحبها إلى الآفاق الواسعة التى تصله بالحاكم المطلق ؟ أم تبعده عن طريق الفطرة و تحول بين الحقيقة الناصعة لهذه الفكرة ؟

و لولا عبادة الله سبحانه و تعالى ضعفت فى الانسان اليوم وتغلبت علـيه عبادة النفس و لولا العقل السليم تقيد بقيود الأهواء و النزوات لم يكن الانسان ليقر بحق الحاكمية لانسان مثله ، ولم يكن له بد من الخضوع أمام حكم الله ، و ما أوضح الأمر و انصع الحقيقـة أن خالق الكون هو مالكه و حاكمه ، و هو الذى يملك كل شئ و يحكم كل نفس . أفليس من الظلم بعد ذلك كلـه أن نضرب عن الحاكم الحقيقى صفحاً و نتشبث بحاكم لا قرار له .

إن هذا النوع من الشرك السياسى لا ينسجم و طبيعة التوحيد فى الاسلام و لذلك التجأ دائماً و لاذ بأذيال الديانات و المذاهب التى لم تذق حلاوة التوحيد و حرمت نعمة الايمان ، فلا يتجرأ بالخضوع أمام حاكمية الانسان إلا من اعتقد صفات الألوهية لغير الله و بدأ يعبده و يتزلف إليـه كصنم .

إن الحاكم مطاع على كل حال يجب أن يطيعه و يمتثل أمره كل فرد من الرعايا ، و هو لا يتقيد بقيود الامتثال و الطاعـة لغيره فالعقل يقتضى أن تكون ذاته فوق كل خطأ . كما يقتضى أن يعتبره فوق كل أثرة لكى لا تصعب على النفس طاعته و الخضوع له ، و لكن من ذا الذى

يستطيع أن يدل على من يحمل هذه الصفات غير ذات الله سبحانه وتعالى .

ولذلك ما من حكم و إرادة سواء كان فردياً أو اجتماعياً أوغيرهما إلا و كل ذاك أصنام نحتتها نفس الانسان و خلعت عليها لباس الحاكمية و أضفت عليها لون القداسة ثم وضعتها فى معبده الخيالى .

إنه لون من ألوان الشرك السياسى يعيش فيـه كثير من الأمم و الشعوب التى إذا نسب إليها الشرك و دعيت بمشركة غضبت ، و أقامت الدنيا و أقعدت ، و لا شك فى أن المعبود هو المـطاع المطلق و الحاكم الكبير ، و ليس معنى العبادة إلا أن يخضع لحكم المعبود أولا و آخراً ، و يعتصم بقانونه الحقيقى دون نظر إلى قوانين من وضع الانسان ، هذا هو مقتضى الفطرة التى فطر عليهـا الناس ، و ذلك ما يقوم عليه أساس نظرية الحاكمية للخلافة فى الاسلام .

إن أنظف نظام للحياة و أقربه إلى الطبيعة ما يكون خالياً عن كل تناقض و تعـارض ، و ليس هناك نظام يحمل هـذه الخصيصة إلا النظام الاسلامى للحياة ، الذى يدور حول محور واحد للتفكير و العمل ، و يرتكز على نقطة واحدة ، و ذلك هو النظام الوحيد الذى يبعث الهدوء و الطمأنينة فى النفس و يشرف على النواحى الخافية و الروحية حتى تقوى فطرة العبودية لله سبحانه وتعالى فى نفس الانسان ، تلك هى السمة البارزة لنظام الحياة الاسلامى ، أما النظام السياسى فى الاسلام فهو جزء من ذلك النظام الكامل و فرع من فروعـه ، و بما أنه نظام فطرى يرتكز على ما ترتكز عليه الحياة الاسلامية ، و أعنى به فكرة الاله و الاعتقاد بحاكميته و ربوبيته ، اعتقاداً جازما ، إن نظام الخلافة فى المجتمع الاسلامى فرع

مثمر من فروع شجرة الايمان تمتاز أثماره بالحلاوة واللذة لايشوبها شئ من مرارة الشرك

الفطرة البشرية تتطلب من كل إنسان أن يعتبر محور أفكاره ومركز أعماله خالق هذا الكون ، و هى تقتضى منه أن يكون هو مركز أعماله وحياته الخارجية ولكن الانسان المادى سرعان ما يثور على ربه ويحارب الفطرة ، وهو قدينتصر فى هذه الحياة الخارجية لحاكمية الانسان ويعتقد أنه تغلب على الفطرة و هزمها ، و لكن الحياة الخارجية المادية تذوب رويداً رويداً و تخلف للانسان علقما و حنظلا ، و عذاباً و شقاءً .

و منذ إقصاء فكرة الاله عن الحياة العملية يزعم الانسان أنه نبذ هذه الفكرة و استغنى عنها تماما ، و يبقى بعض أضواء الفطرة فى ركن من قلبه و لكنه لا يسعفه فى تبديد ظلام الجهل و الغواية الذى تسلط عليه، فلاتزال تتجمع عليه ظلمات بعضها فوق بعض ، و يحيط بقلبه رين وصدأ يتعسر الخلاص منه حتى تموت دونه كل خصلة من خصال الخير والخلق و الروحانية و تختنق فيه دوافع الصلاح و المروءة .

و لنا فى أوربا عبرة و درس حيث توزعت الحاكمية أول الأمربين المادية و الروحانية و الدينية و السياسية على يد الباباوات و الملوك ، ثم بدا لهم بعد مدة قليلة أنهم أخطأوا فى هذا التقسيم لأنه لم يكن على أساس الفطرة ، وأنتج ذلك أن الحاكمية الروحانية والدينية اندحرت فى كل حين و انتصرت حاكمية المادة و السياسة على كل شئ ، و أخيراً سادت عليها حياة أشبه بحياة الحيوانات منها إلى حياة الانسان، وترفرفت رأية الهمجية والبهيمية فى أوربا كلها وقضى على الأخلاق والمثل العليا كلها بالزوال .

● و فى ذلك برهان على أن الفخر بالآباء من خصال أهل الكفر والجهل ، فلا ينبغى للمسلم أن يتصف به فان الاسلام جاء ليبطله و يقضى عليه ، و يظهر الناس من رذيلته ، ثم زاد ذلك بياناً قوله عليه الصلاة والسلام إنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى ، فقسم الناس كلهم قسمين ، قسم مؤمن بالله و يتبع رضوانه ويتواضع لخلق الله فلايتكبر على أحد و لا يفتخر على أحد فأولئك هم المهتدون .

● و قسم لا يؤمن بالله و لا يتبع رضوان الله ، و لا يتواضع لعباد الله ، بل يشمخ بأنفه ، ويتكبر و يتجبر فأولئك هم الضالون الجاهلون الكاذبون على الله **

أنظر ص ٥٣ و ٥٤

دراسات وأبحاث

التعصب للجنس أو الدين

الدكتور تقى الدين الهلالى

قال فى اللسان : التعصب من العصبية ، والعصبية أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناويهم. ظالمين كانوا أومظلومين، وقدتعصبوا عليهم إذا تجمعوا ، فاذا تجمعوا على فريق آخر قيل: تعصبوا .

و فى الحديث : العصبى من يعين قومه على الظلم. العصبي هو الذى يغضب لعصبته ، ويحامى عنهم، والعصبة : الأقارب من جهة الأب ، لأنهم يعصبونه و يتعصب بهم ، أى يحيطون به و يشتد بهم .

و فى الحديث : ليس منا من دعا إلى عصبية ، أو قاتل عصبية. العصبية والتعصب المحاماة والمدافعة ، و تعصبنا له و معه نصرناه و عصبة الرجل : قومه الذين يتعصبون له .

قال الله تعالى فى سورة الحجرات (١٣ - يا أيها الناس إناخلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

يقول الله تعالى مخاطباً عباده كلهم (إنا خلقناكم من ذكر و أنثى) يعنى آدم و حوا (و جعلناكم شعوباً) كل شعب يجمع قبائل عديدة كقريش مثلا ، أو كالعرب ، و القبيلة دون الشعب ثم العشيرة ثم الفصيلة

ثم الفخذ ثم الأسرة (لتعارفوا) أى ليعرف بعضكم بعضاً ، حتى ينال كل إنسان حقه فى الميراث و العقل ، و هو دفع دية قتل الخطأ ، فان عصبة القاتل تؤدى الدية شرعا إلى غير ذلك من فوائد التعارف ، كصلة الرحم ، و نصر الأخ ظالماً أو مظلوما كما جاء فى الحديث الصحيح ، فان كان مظلوما يدفع عنه الظلم أخوه ، و ذلك نصره ، و إن كان ظالماً يمنعه من الظلم فينصره على نفسه التى تريد أن تلقيه فى المهالك حين سولت له الظلم ، قال تعالى فى سورة النمل (٥٢ - فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) .

و قد جاء فى الخبر : إن الظلم يدع الديار بلاقع، و لم يجعلنا الله شعوباً و قبائل و عشائر و فصائل ليتعصب بعضنا على بعض ، أو ليفخر بعضنا على بعض ، فان ذلك من شأن أهل الجاهلية كما سيأتى، و لا يوجد نسب فى بنى آدم يعتبر كريماً سامياً فاضلا على غيره و كيف يكون ذلك و كلهم خلقوا من نفس واحدة ، و هى نفس آدم ، و بعض النفس لا يكون أفضل من بعضها .

و التفاضل بين الناس إنما يكون بالأعمال ، فعمل الانسان هو الذى يرفعه أو يخفضه ، وعليه يثاب أو يعاقب، قال تعالى (من عمل صالحاً فلنفسه و من أساء فعليها) و قال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، و من يعمل مثقال ذرة شراً يره) (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أى أعلاكم منزلة عند الله أكثركم تقوى ، و التقوى اجتناب ما نهى الله عنه و امتثال ما أمر الله به (إن الله يأمر بالعدل و الاحسان و ايتاء ذى القربى ، و ينهى عن الفحشاء و المنكر ، و البغى يعظكم لعلكم تذكرون)

روى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة قال : سأل النبى ﷺ

أى الناس أكرم قال : أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا : ليس عن هذا نسألك قال : فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله قالوا : ليس عن هذا نسألك قال : فعن معادن العرب تسألونى قالوا نعم، قال فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام إذا فقهوا .

لما سئل رسول الله ﷺ عن أكرم الناس لم يتبادر إلى ذهنه الكريم إلا الكرم الذى يجئ من العمل ، فلذلك أجاب بقوله : أكرمهم عندالله أتقاهم، فهكذا ينبغى لكل مسلم وكل منصف أن لا يفكر عند التفاضل إلا فى العمل ، و لا يفكر فى جنس و لا لون و لا نسب و لا حسب .

و لما علم أن السائلين لا يقصدون بسؤالهم التفاضل بالعمل وحده ظهر له أنهم يقصدون الحسب ، و هو مفاخر الآباء فأجاب عليه الصلاة و السلام بقوله : يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله فلم ينظر نظرة ضيقة إلى العرب وحدهم ، و هو عربى و السائلون من العرب ، بل ذهب فكره الشريف إلى الحقيقة الواقعة فأخبر أن أكرم الناس من حيث الحسب يوجد فى الأمة الاسرائيلية ، فهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل صلوات الله عليهم أجمعين .

هذا هو الانصاف المحمدى الذى ينبغى أن يضرب به المثل ، لا بالديمقراطى ، و لما علم أن السائلين لايريدون التفاضل الآتى من حسب الآباء و علو مراتبهم ، و إنما يريدون تفاضلا محصوراً فى العرب أجابهم بجواب حكيم عليم متواضع كريم فقال : خيارهم فى الجاهلية هم خيارهم فى الاسلام بزيادة شرط واحد ، و هو التفقه فى الدين علماً و عملا فكل من كان شريفاً فى الجاهليه بخلقه و عمله فهو شريف فى الاسلام إذا تفقه

فى دين الله و تمسك به ، أما إذا لم يتفقه فى الدين و لم يتمسك به فهو من شرار العرب إن كان عربياً ، و إن لم يكن عربياً فهو من شرار قومه . فرجع الأمر إلى الخلق و العمل ، و طابق الختام الابتداء .

فبماذا يسود السيد عند العرب ؟ أبانتسابه إلى بيت ملك كما هو الشأن عند العجم ؟ الجواب نجده فى شعر العرب و هو ديوانهم قال شاعرهم .

و إنى و إن كنت ابن سيد عامر ... وفارسها المشهور فى كل موكب
فما سودتنى عامر عن وراثة ... أبى الله أن أسمو بأم و لا أب
و لكننى أحمى حماهـا و أتقى ... أذاها و أرمى من رماها بمنكبى

و قال غيره :

ببذل و حلم ساد فى قومه الفتى ... و كونك إياه عليك يسير

و قال آخر :

هما سيد انا يزعمان و إنمـا ... يسودانا أن يسرت غنماهما

فالسيد عند العرب هو الذى يحمى الحمى بشجاعته ، و يبذل القرى بكرمه و يحلم على الجاهل ، و ينصر المظلوم ، ويكرم اليتيم ويعين الضعيف فمن اتصف بهذه الخصال و ما والاها و تفقه فى الدين و تمسك به فهو السيد المفضل على من لم يبلغ منزلته فى ذلك .

قال الامام ابن كثير رحمه الله فى تفسير آية الحجرات المتقدمة : فجميع الناس فى الشرف ، بالنسبة الطينية إلى آدم و حواء عليهما السلام سواء وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية و هى طاعة الله تعالى و متابعة رسوله ﷺ و لهذا قال تعالى بعد النهى عن الغيبة و احتقار بعض الناس بعضاً منبهـا على تساويهم فى البشرية : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و

أنثى ، وجعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا، أى ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته .

و روى أبو داؤد و الترمذى من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم من جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذى يدهده الخراء بأنفه ، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية و فخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى ، الناس كلهم بنو آدم ، و آدم من تراب .

قول النبى ﷺ لينتهين اللام واقعة فى جواب قسم مقدر، التقدير : و الله لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا وصفهم بالموت وبكونهم من فحم جهنم إنما سيق للتشنيع و لا مفهوم له ، إذ لا يجوز لمسلم أن يفتخر بأبيه أو جده ، سواء أكان حياً أم ميتاً و سواء أكان من أهل جهنم أم من أهل الجنة ، و قال تعالى فى آخر سورة لقمان (يا أيها الناس اتقوا ربكم و اخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده و لا مولود هو جاز عن والده شيئاً)

و ناهيك بابن نوح عليه السلام ، و هو من أولى العزم و هم أفضل الرسل والأنبياء لما أراد أن يشفع فى ابنه فقال فى سورة هود (٤٥ - رب إن ابنى من أهلى و إن وعدك الحق و أنت أحكم الحاكمين) أجابه الله تعالى بقوله (يا نوح إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح فلاتسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين) فلم يقبل الله شفاعته فى ابنه و أخبره أن ذلك الابن ليس من أهله لأنه عصى أمر الله وكذب رسوله وانضم إلى أعداء الله ، فلم يبق له إلا النسب الطينى، وهو

لا يساوى عند الله شيئاً و سماه عملا غير صالح ، و نهى نوحا أن يسأله مثل ذلك ، و أخبر سبحانه أن من اعتز بالنسب المجرد عن العمل و افتخر به أو ظن أنه ينجيه من عذاب الله هو من الجاهلين ، فاستعاذ نوح بالله من مثل ذلك فقال (رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم ، و إلا تغفر لى و ترحمنى أكن من الخاسرين)

فمن لم يتب إلى الله من الاعتداد بالانتساب المجرد عن العمل و الايمان يكون من الخاسرين .

و قول النبى ﷺ أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذى يدهده الخراء بأنفه يعنى أن من يفتخر بآبائه يكون أحقر عند الله من الجعل، و هو نوع من الخفافس يطير و يولع بدحرجة النجاسة ، فهو أحقر شئ عند الناس وأقبح ما تراه العين فلذلك شبه النبى ﷺ به المفتخر بالنسب ، و حسبه ذلك هواناً وخسة .

و قول النبى ﷺ إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية) العبية بكسر العين المهملة و كسر الموحدة التحتية مشددة فياء مثناة من تحت ، معناه ما عطف عليه التعاظم و التكبر و الفخر بالآباء .

و فى ذلك برهان على أن الفخر بالآباء من خصال أهل الكفر و الجهل ، فلا ينبغى للمسلم أن يتصف به فان الاسلام جاء ليبطله و يقضى عليه ، و يطهر الناس من رذيله ، ثم زاد ذلك بياناً قوله عليه الصلاة و السلام إنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى ، فقسم الناس كلهم قسمين ، قسم مؤمن بالله و يتبع رضوانه و يتواضع لخلق الله فلا يتكبر على أحد و لا يفتخر على أحد فأولئك هم المهتدون .

و قسم لا يؤمن بالله و لا يتبع رضوان الله ، و لا يتواضع لعباد الله ، بل يشمخ بأنفه ، و يتكبر و يتجبر فأولئك هم الضالون الجاهلون الكاذبون على الله (و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للتكبرين و ينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء و لا هم يحزنون)

روى البخارى ومسلم عن المعرور قال : لقيت أباذر بالربذة وعليه حلة و على غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال : إنى سأبيت رجلا فعيرته بأمه فقال لى النبى ﷺ : يا أباذر أعيرته بأمه ؟ إنك أمرو فيك جاهلية، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل و ليلبسه مما يلبس ولاتكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم .

قال السكرمانى فى شرح البخارى و فى الحديث : النهى عن سب العبيد و تعييرهم بآبائهم و الحض على الاحسان إليهم ، و إلى كل من يوافقهم فى المعنى ممن جعله الله تحت يد ابن آدم كالأجير و الخادم ، فلا يجوز لأحد أن يعير عبده بشئ من المكروه يعرفه فى أصوله ، و خاصة نفسه ، إذ لا فضل لأحد على غيره إلا بالاسلام و التقى .

و روى أنه قال لأبى ذر : أعيرته بأمه إرفع رأسك ما أنت بأفضل ممن ترى من الأحمر و الأسود إلا أن تفضله فى دين .

و روى أن بلالا كان الذى عيره أبو ذر بأمه أى بسوادها فانطلق بلال إلى النبى ﷺ فشكى إليه تعييره بذلك فأمره النبى ﷺ أن يدعوه ، فلما جاء أبو ذر قال له رسول الله ﷺ : شتمت بلالا و عيرته بسواد أمه ؟ قال : نعم، قال له رسول الله : ما كنت أحسب أنه بقى فى صدرك

من كبر الجاهلية شئ ، فألقى أبو ذر نفسه إلى الأرض ، ثم وضع خده على التراب و قال : و الله لا أرفع خدى منها حتى يطأ بلال خدى بقدميه ، فوطئ خده بقدميه .

قال الكرمانى فى معنى قول النبى ﷺ لأبى ذر إنك أمرؤ فيك جاهلية ، قال ابن بطال : يريد أنك فى تعييره بأمه على خلق من أخلاق الجاهلية لأنهم كانوا يتفاخرون بالانساب فجهلت و عصيت الله تعالى فى ذلك، ولم يستحق بهذا الفعل أن يكون كأهل الجاهلية فى كفرهم بالله تعالى،

و روى أحمد بسنده عن أبى ذر أن النبى ﷺ قال له : أنظر فانك لست بخير من أحمر و لا أسود إلا أن تفضله بتقوى الله .

المراد بالأحمر العجم لشدة بياضهم المشوب بالحمرة والمراد بالأسود العرب لسمرة ألوانهم فى الغالب و المعنى أن اللون لا عبرة به فى الاسلام كيفما كان ، و إنما العبرة بالعلم و العمل الصالح . فبهما يسود من يسود و يرتفع من يرتفع ، و بفقدهما تفقد السيادة و العزة والكرامة .

و روى مسلم فى صحيحه عن عياض بن حمار أن النبى ﷺ قال : إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد و لا يبغى أحد على أحد

فى هذا الحديث أن الله تبارك و تعالى أمر رسوله أن يأمر الناس جميعاً أن لا يفخر أحد منهم على أحد ، لابنسب ولابعلم ، ولابمنصب ، و لا بمال ، و لا يظلم أحد منهم أحداً ، و من فعل ذلك فقد عصى الله ورسوله و تعدى حدوده، فحقيق أن يعذبه الله عذاباً شديداً فى الدنيا و الآخرة .

و روى أبو داود عن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال : ليس منا من دعا إلى عصبية و ليس منا من قاتل عصبية ، و ليس منا من مات على عصبية .

فى هذا الحديث تبرأ النبى ﷺ من ثلاثة أصناف من الناس ، الصنف الأول : الذين يدعون الناس إلى التعصب لأهل نسبهم لينصروهم ، سواء أكانوا على حق أم على باطل ، أو يتعصبون لأهل بلدهم ، أو لأهل مذهبهم ، أو لأهل حزبهم السياسى ، كل ذلك عصبية جاهلية .

الصنف الثانى الذين يقاتلون لنصرة أهل نسبهم أو مذهبهم أو حزبهم أو لونهم و هم يعلمون أنهم على باطل

الصنف الثالث : الذين يموتون على عصبية لشئ مما تقدم ، و إذا علمنا أن الموت لا يأتى إلا بغتة و أنه لا أحد يعرف متى يموت و لا أين يموت ، وجب علينا أن نتجنب العصبية طول عمرنا إذا أردنا أن نكون من أهل الحق الذين يتولون الله و رسوله « و من يتولى الله و رسوله و الذين آمنوا ، فان حزب الله هم الغالبون » و الأدلة على ذم العصبية كثيرة لا يتسع المقام لأكثر مما ذكرناه ، و فيه كفاية لمن حبب إليه الانصاف ، و بغض إليه التعصب و الاجحاف ، و بالله التوفيق .

﴿يتبع﴾

نظرة على مؤلفات حديثة للفقه الاسلامى

الأستاذ سعيد أحمد البالنورى

بدأ يتوسع الفقه الاسلامى منذ عصر الصحابة الذين بحثوا فى القضايا المعترضة لهم غير أنهم كانوا لا يجاوزون غيرها ، بل يعيبون ذلك لأن الفقه لم يكن إذ ذاك فرضياً و لا نظرياً ، بل عملياً واقعياً ـ فى جملته ـ فلا ترى سائلا عن أمر لم يقع ، و لو وقع السؤال من بعضهم فرضياً يقولون له دعه حتى يقع .

و لما مضى عصر الصحابة رضوان الله عليهم و جاء عصر التابعين و تابعيهم بحثوا فى القضايا والأحكام و نقحوا و فصلوا و مهدوا القواعد لاستنباط الأحكام الفقهية .

فهذا أبو حنيفة الامام التابعى رحمه الله تراه جالساً ، و حوله أربعون رجلا من فحول العلماء و جهابذتهم يبحثون فى مسألة مسألة مفصلة مبينة ويكتبونها و يدونونها فى أسفارهم ، ولم يسأل أحد منهم السائل هل وقع هذا أم لا ؟ بل فصلوا الأحكام كلها وقالوا إن كان كذا فحكمه كذا . أرأيت إن كان كذا فكذا ، حتى سماهم بعض المتعصبين بـ« أرأيتيون » لما كان يكثر فى مجالسهم من قول أرأيت ، أرأيت ، و هذا الامام جالس فى مجلسه إذ جاء رجل من الشام و قال إنى جئتك لألف مسألة ، فقال

الامام هاتها ؟ فجعل يعرض مسألة مسألة و يجيب الامام كما حكاه لنا الخطيب البغدادى رحمه الله فى تاريخه (١) و لا يسأله الامام هل وقع أم لا ؟ فى الوقت إمامان جليلان يستنبطان معاً ، هذا أبو حنيفة فى بغداد حينما استقدمه المنصور، و هذا إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله فى مدينة الرسول .

ثم مضى هذا القرن و جاء من بعدهم أمم تلو أمم و ما من عالم إلا و قد كتب فى الفقه الاسلامى إما لحاجته الخاصة أو للعامة ، ولكن لما وسع المجال كثر القيل والقال ، و وقع الاختلال فى كتبهم ومؤلفاتهم فاضطر الناس إلى اختيار الأحكام و المسائل ، و نحن الآن نبحث فى الكتب المؤلفة فى الفقه الاسلامى على طراز القانون الرسمى لسهولة المأخذ و لكن استغراق المبحث ليس فى وسعنا فنقول حسب ما تيسر لنا .

(١) مرشد الحيران إلى معرفة أحوال الانسان .

---

(١) و إن ذكره الخطيب غفر الله له فى فصل « مثالب الامام » بأن الامام يجيب من غير تفكر و امعان نظر حتى قال له هاتها ؟ ولكن عندنا ليس فيه وجه التعيب ، فهذا الامام مالك يعرض عليه السائل أربعين مسألة فى مجلس واحد و هو يقول لا أدرى ، لا أدرى ، فكذا الامام أبوحنيفة ، يعرض عليه ألف مسألة فى مجلس واحد فان ظهر له أجاب و إلا قال لا أدرى ، فما وجه التعيب فيه ولكن الحق ما قال الأستاذ محمد زاهد الكوثرى فى كتابه «الحاوى لسيرة الطحاوى» هذه شنشنة تعودنا أن نسمعها من أفواه أناس يقلون التفكير ، والحقيقة أن من جمع الأصول ، و علم العلل ، و رزق الفهم المستقيم يستطيع أن يجيب لأكثر من ذلك فى مجلس واحد ولا عجب .

كتاب فى المعاملات الشرعية ألفه الأستاذ محمد قدرى باشا على طراز القانون الرسمى ملائماً لعرف الديار المصرية وسائر الأمم الاسلامية ، وهو كتاب جليل ، عظيم الفائدة ، يحتوى على جملة أبواب وفصول معنوناً فى وسطه لكل كتاب و فصل وباب ، و بالوجه العام من أوله إلى آخره مسلسل بالمواد كقانون منظم منسق نقحته جمهرة عظيمة من نطاحل العلماء الأعلام ، و الحق يقال إن الكتاب نفيس يجب اقتناؤه لما فيه من المنافع العامة ، فبه يمكن الانسان أن يأخذ الحق و يعطى الحق ، و به يمكن فض كثير من المشكلات التى تنشاء عن المعاملات ، و هذا الكتاب يحتوى على ١٠٤٥ مادة و ١٦ باباً بالترتيب الآتى :

الكتاب الأول - فى الأموال - الكتاب الثانى فى أسباب الملك ، كتاب الشفعة ، كتاب فى المدانيات و العقود و الامانات و الضمانات ، كتاب البيع ، كتاب الاجارة كتاب المزارعة و المساقاة ، كتاب الشركة ، كتاب العارية ، كتاب القرض ، كتاب الوديعة ، كتاب الكفالة ، كتاب الحوالة ، كتاب الوكالة ، كتاب الرهن ، كتاب الصلح .

ظهرت الطبعة الأولى فى أول ربيع الثانى سنة ١٣٣٨ هـ و صادف القبول ، و هذا هو الكتاب الذى سماه العلامة فريد وجدى بك (١) فى

(١ ولد فى الاسكندرية (بمصر) سنة ١٨٧٥ م و برع فى العلوم العصرية وصنف كتباً كثيرة نافعة ومنها دائرة المعارف. قال العلامة المغفور له شبلى النعمانى مع اعترافنا بفضله نقول مع الأسف إن ذخيرة معلوماته الدينية سطحية فاذا تكلم فى الحديث أو القرآن يظهر هذا القصور العلمى واضحاً «من مقالات شبلى ج ٥ ص ١٣١ »

دائرة معارفه بدليل الحيران . فانه قال فى كلمة «الرهن» تأتى على أحكام الرهن على مذهب أبى حنيفـــة و هو المذهب المعول به الآن من كتاب «دليل الحيران» تأليف قدرى باشا و هو الذى يدرس فى مدرسة الحقوق الخديوية .

و لما كان موضوع « المجلة الاحكام العدلية » و موضوع « مرشد الحيران » واحداً يجب علينا أن نوازى بينهما و نعرض أمام القارى نبذة من ذلك و لكن يكفيك مثال واحد ، قال فى « المجلة » فى فصل الغبن و التغرير ما نصه :

(المادة ٣٥٧) إذا وجد غبن فاحش فى البيع و لم يوجـد تغرير فليس للمغبون أن يفسخ البيع إلا أنه إذا وجد الغبن وحده فى مال اليتيم لا يصح البيع و مال الوقف و بيت المال حكمه حكم مال اليتيم .

و قال فى « مرشد الحيران » فى فصل الغبن و التغرير ما نصه :

(مادة ٥٣٣) لا يفسخ البيع بالغبن الفاحش بلا تغرير إلا فى مال الصغير و مال الوقف و مال بيت المال .

فاذا قارنت المادتين وجدت الفرق بأن « مرشد الحيران » اخصر عبارة ، و أجمع فائدة ، و أشمل قاعدة ، فانه قال فى سطرين ما قالتـــه « المجلة » فى أربعة اسطر ـ و كذا الحال فى جميع الأبواب ـ و لكن نهج «المجلة» فى فصل المسائل ، و بسط القواعد لا سيما فى المباديات فى ابتداء كل كتاب مما تفردت به هى وحدها لا يشاركها فيها غيرها .

﴿٢﴾ قانون العدل و الانصاف للقضاء على مشكلات الأوقاف .

هذا الكتاب أيضاً للمؤلف المذكور محمد قدرى باشا يشتمل عـــلى

سبعة أبواب وعدة فصول تحت كل باب . و جميع الكتاب يدور حول مسائل الوقف، والكتاب يحتوى على ٦٤٦ طبعته نظارة المعارف العمومية المصرية بمساعدة الشيخ محمد زيد الابيانى و الشيخ محمد سلامـة ، و الشيخ محمد المغربى ، و الشيخ محمد البنا ، و صدر قرار نظارة المعارف العمومية لطبعه فى ٧ ربيع الأول سنة ١٣١١ هـ

وقد كتب كثير من الفقهاء الاعلام فى مسائل الوقف ولكن ما أنى أحد منهم عـــلى جميع مواد الحاجـــة ألمهم إلا هذا الكتـاب القيم ، و « السعيديات فى أحكام المعامـلات » للشيخ محمد سعيد عبد الغفار أحد علماء الأزهر الشريف فقد جمعت كل مسائل الوقف بايجاز .

وهذا الكتاب يوفى الغرض و الكتب التى رجع إليها المؤلف اثناء التأليف هو معظم الأصول الحنفية من الدر المختار و شرحه لابن عابدين والخيرية ، والحامدية ، والهندية ، والانقروية ، والخانية ، والاسعاف .

﴿٣﴾ الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية :

كتاب قيم مشتمل على الأحكام المختصة بذات الانسان من حين نشأته إلى حين منيته ، وتقسيم ميراثه بين ورثته ـ منقسم على جزءين ، الجزء الأول فى الأحكام المختصة بذات الانسان ، و الجزء الثانى فى المواريث ـ ثم الجزء الأول يحتوى على خمسة كتب فى النكاح ، فيما يجب لكل من الزوجين على صاحبه ، و فى فرق النكاح ـ فى الأولاد ـ فى الوصى و الحجر و الهبة و الوصية ، و تحت كل كتاب فصول ، والجزء الثانى يحتوى على ٩ أبواب كلها فى الميراث .

قال المؤلف فى ابتدائه ما نصه :

، و قد نظمت لآليها ليستضاء بانوارها البهية فى المحاكم المصرية ، تم طبعه فى المرة الأولى سنة ١٣٣٠هـ بالمطبعة الخيرية و الكتاب يحتوى على سبع و أربعين و ستمأة مادة ، شرحـه أحد أفاضل العلماء رأيتـه فى مكتبه الجامعة الاسلامية بقرية دابهيل (الهند) شرحا نفيساً كاملا لجمـع المتفرقات و حل المغلقات .

﴿٤﴾ شرح مجلة الأحكام العدلية :

شرح المجلة واضح البيان : يجنى المريد شقائق النعمان .

شرح أزال عن المجلة برقعاً : فبدا الصباح لمن له عينان .

لما جرى ذكر الشرح ، للاحكام الشرعية ، فلاحرج إذاً أن نذكر شرحا آخر لأن الشئ بالشئ يذكر .

المجلة (وحالاتها) قدمررتم عليها فى مقالة الأستاذ أمين أحسن المنشورة فى البعث الاسلامى فى العدد ٧ المجلد ١١ ، و لكن نذكر لها شرحا ، شرحه الأستاذ المغفور له سليم رستم باز اللبنانى من أعضاء الشورى للدولة العثمانية سابقاً، والذى هو بيدى الآن، طبعة ثالثة مصححة ، منقحة مزيدة ، المطبوع فى بيروت بالمطبعة الأدبية سنة ١٩٢٣ م .

و من حسن المصادفة أن أحمد جودت باشا ناظر ديوان الأحكام العدلية و المذاهب (و هو سابع سبعـة من الذين وجهوا تقريراً حول ضرورة تدوين الفقه الاسلامى إلى الرئيس عالى باشا ذكره الأستاذ أمين أحسن مفصلا) رأى هذا الشرح فنال منه حسن القبول و لما أهدى إليه الشارح نسخة من الشرح مدحه بكلام أغلى من الدرر فقال ما نصه :

أخذنا بايدى التكريم ، كتابكم الكريم ، فوعينا منه مقدار الهمة

التى بذلتموها فى شرح المجلة الشريفة ، و الدرة المنيفة ، ولدى تصفح النسخة البهية – التى أهديتموها لنا – وجدت حسنة المبانى ، رشيقة المعانى سهلة العبارة ، واضحة الاشارة ، حرية بالشكران ، داعية للامتنان ، و هذا الشرح كمل فى ١٢٨٨ صفحة قال الشارح فى مقدمته ما نورده اختصاراً :

، علم الفقه أشرف العلوم قدراً ، أوفرها فائدة و ذخراً ، فلذا قام على تاليف أصوله ، و استنباط فروعه ، من صحيح نقوله فحول العلماء الأعلام و جهابذة ملة الاسلام نخص بالذكر منهم أبا حنيفة فهو مدون الفقه و أبو عذره و إليه مرجع عزه و فخره فأخذ عنه كرام الأصحاب فألفوا فى الفقه و أبدعوا و بالغوا فى أيضاح مبانيه و توسعوا ، و اتفقوا على كثير من المبادى، فكان اتفاقهم حجة قاطعة .

و اختلفوا فى بعض المسائل فكان اختلافهم رحمة واسعة . إلا أن تأليفهم لم تف برغبة الطلب ومنية الراغب ، فانها بين موجز و مطول و ليس فيهـا من متوسط عليه نعول – و لذا أنيط بنواص الآمال وضع كتاب سهل المنال يختار فيه صحيح الأقوال – فوضعت الدولة العلية كتاب «المجلة» المسمى «بالأحكام العدلية» ألفته لجنة من العلماء المحققين و نخبة من الفقهاء المدققين غير أنها لضيق اطاره لم يحو إلا القليل من المسائل . فبعد أن قرأته مراراً قراءة امعان ، و اتقنت فهم مسائله غاية الاتقان ، ألفيته لا يستغنى من الشرح و الايضاح و تبيان مسائله بنظائرها من جواهر الأقوال الصحاح فبسطت لها شرحا وافياً أوضحت فيه ما غمض من أسرارها إيضاحا شافياً ، و زدت فيه ضوابط مهمة . و فروعا كثيرة فوائدها جمة وعزوت كل فرع إلى أصله و كل شئ إلى مأخذه و محله ،

انتهى ما قاله رحمه الله باختصار .

و أخيراً نلفت أنظار القراء إلى ما قال الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى فى مقالته القيمة فى حق «المجلة»

« و يمتاز هذا القانون بأن أدخل فيه شئ كثير من فقه المذاهب الأخرى على أنه كان مؤسساً على الفقه الحنفى الذى كان مذهب الدولة الرسمية وذلك لكى يتسنى توفيقه مع أحوال العصر ومشكلاته وظروفه »

ولكننى أعتقد أن ذلك لايطابق الواقع لأننى قرأت المجلة وشرحه قراءة اتقان فما وجدت فيـــه ما أشار إليه الأستاذ الاصلاحى ، بل كل أحكامها مأخوذة من الفقه الحنفى إلا أن الاختلاف إذا وقع فى مسألة عند الأحناف نظرت اللجنة إلى المذاهب الأخرى لكى تأخذ قولا راجحاً فيها قالت اللجنة (فى التقرير الذى وجهه إلى عالى باشا) فى حكم « الشروط فى البيع » ما ملخصه :

« أقوال أكثر المجتهدين فى حق البيع بالشرط يخالف بعضها بعضاً، فعند المالكية إذا كانت المدة جزئية و عند الحنابلة على الاطلاق يكون للبائع وحده أن يشترط لنفسه منفعة مخصوصة فى المبيع ، ولكن تخصيص البائع مخالف للرأى و القياس ، و ابن أبى ليلى (معاصر الامام الأعظم) إن البيع إذا دخله شرط أى شرط كان فقد فسد البيع و الشرط ، وعند ابن شبرمة كلاهما جائزان ، فهو موافق لحديث «المسلمون عند شروطهم» و بازاء هذا النزاع و الاختلاف ، نرى أصلا كلياً متفقاً عليه أن رعاية الشرط إنما تكون بقدر الامكان ، فمسألة الرعاية للشرط قاعدة تقبل التخصيص و الاستثناء . ولذا اتخذ طريق متوسط عند الحنيفة فقسموا

الشرط إلى ثلاثة أقسام : شرط جائز ، و شرط مفسد ، و شرط لغو .

ولكن هذا الجمود فى الفقه الحنفى ليس من التعصب فى شئ و إنما السبب فى ذلك أن المسائل التى ذكرت فى «المجلة» هى مسائل المعاملات و العقود و الاجازات و القضاء ، و للأحناف ذخيرة عظيمـــة فى هذا الموضوع لا تكاد توجد فى مذهب آخر ، فلا حاجة لنا إذاً أن نرى إلى إلى غيرنا حتى إذا أحسسنا بحاجة إلى الأخذ من غيرنا و ليس عندنا فى الباب شئ نسارع و نأخذه بدون تلكأ. لأن الحكمة ضالة الحكيم فحيث وجدها فهو أحق بها ، و يظهر لك التفصيل أيها القارئ الكريم عندما تبحث فى «الحيلة الناجزة للحليلة العاجزة» للعلامة محمد أشرف على التهانوى (الهندى) رحمه الله، و من الله التوفيق

و بالجملة فهذا هو نهج «المجلة» فى بحث المسائل ، و تنقيح الدلائل، واختيار الأقوال المختلفة ، والترجيح للآراء المختلفه ، وأما ما قال الأستاذ أمين أحسن فهو حق و صواب من أن «مصادر المجلة هى كتب الفقـــه الحنفى المتفق عليها، وتأخذ اللجنة من الأقوال المختلفة ما يتفق حاجة العصر و المصلحة العامة .

(للبحث صلة)

اقتصادنا في ضوء الاسلام

بروى

- الاقتصاد الاسلامى صلة بين العبد و الرب و عبادة من العبادات كالصوم و الصلاة ، و تلك هى قيمته الأصيلة الموضوعية ، أما ما يتحسن به من الأحوال الاقتصادية والأوضاع المالية فهى نسبية تنبثق عن هذه الصيلة و هذه العبادة .
- إنه لا يعتبر الانسان حيواناً «عالماً» شأن الاشتراكية العلمية أو الشيوعية السافرة ، ولايعتبره مخلوقا ملائكياً لا يحتاج إلى طعام و شراب و مسكن و ملبس شأن الرهبانية المبتدعة الضالة ، و لا يدعه طاغياً يستأثر بخيرات الأرض دون غيره شأن الرأسمالية المحكرة الظالمة .
- إنه يعطى كل إنسان (مهما كان) أجر عمله و مهنته و ذكائه وابتكاره ، و يفتح لكل مغامر طموح مجال العمل و الكسب و التقدم فى حدود الشريعة الواضحة و تحت تأثير الوازع الدينى الشديد و رقابة الضمير « و الله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون »

مكانة الاقتصاد الاسلامى

بين النظم الاقتصادية المعاصرة

الأستاذ محمد فاروق النبهان
المدرس بالكليات فى الرياض

و ننتقل الآن إلى موضوع آخر هو (الملكية الفردية)

و الملكية فى الفقه الاسلامى هى العلاقة التى أقرها الشارع بين الانسان و المال و جعل هذا المال مختصاً بالانسان بحيث يتمكن من الانتفاع به بكل الطرق السائغة له شرعا وفى الحدود التى بينها الشرع الحكيم.

و يعتبر موضوع الملكية من أهم الموضوعات التى أثارت انتباه الباحثين فى العصور الحديثة وكانت موطن نقاش عنيف بين أنصار المذهب الفردى و أنصار المذهب الاشتراكى .

و مفهوم الملكية فى الفقه الاسلامى يختلف تمام الاختلاف عن مفهومها لدى كل من المذهبين الفردى و الجماعى ، و هذا المفهوم ينبع فى الأساس من طبيعة الملكية الفردية فى الفقه الاسلامى ، تلك الطبيعة التى تختلف فى نشأتها ومظهرها و نتائجها عن طبيعة الملكية فى النظم الأخرى .

فهى ليست ملكية مطلقة ، لأن النصوص صريحة فى منع الأفراد من التصرف فى ملكياتهم بطرق تلحق الضرر بالجماعة ، و لذلك أقر الفقهاء جواز الحجر على السفيه أنه يتصرف فى أمواله تصرفا يلحق الضرر بالمجتمع و هى ليست ملكية جماعية ، لأن النصوص واضحة فى إقرار الملكية الفردية : و قد وضع الاسلام النظم التى تحمى هذه الملكية ، و عاقب السارق

بأشد العقوبات لأنه يعتدى على تلك الملكية .

و لو رجعنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أنه أضاف الملكية فى بعض الأحيان إلى الله قال تعالى « و آتوهم من مال الله الذى آتاكم »

وقال أيضاً : وأمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه .

و أضافها فى أحيان أخرى إلى الأفراد ، فقال :

لتبلون فى أموالكم و أنفسكم .

و قال أيضاً : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة .

و قال أيضاً : و فى أموالهم حق للسائل و المحروم .

و تعليل هذا الازدواج فى نسبة الأموال إلى الله أولا . و إلى الأفراد ثانياً ، هو أن اضافة الأموال إلى الخلق ، هو ضمان وجدانى لتوجيه المال إلى نفع عباده ، و أن اضافة ملكية المال إلى البشر هو ضمان لتوجيه المالك إلى الانتفاع بما يملك فى الحدود التى رسمتها الشريعة .

و نستطيع القول بأن ملكية الله للمال هى الملكية الأصلية ، وملكية المالك لماله هى الملكية الواقعة ، و ليس هناك تعارض بين النسبتين .

و هكذا يتبين لنا مما مضى أن الاسلام حينما أقر الملكية الفردية ، فقد رتب عليها حقوقا و وضع عليها قيوداً .

و الحقوق المرتبة على الملكية كثير، منها :

١ - حل الزكاة : والزكاة هى الالتزام المالى الذى يجب على المسلم أن يؤديه إلى الفقراء و هو قدر معلوم من المال مفروض على رؤوس الأموال ، ويدفع لأربابه المستحقين من الفقراء والمساكين وأصحاب الحاجة .

٢ - الحق الثانى هو التكافل الاجتماعى فى الاسلام : و هذا يختلف عن حق الزكاه . قال أبوعبيد القاسم بين سلام فى كتابه (الأموال) الذى يعتبر هو المصدر الرئيسى لأحكام الأموال فى الاسلام قال ما يلى: إن فى المال حقوقا سوى الزكاة مثل بر الوالدين وصلة الرحم وقرى الضيف وروى هذا الرأى عن عمر وأبى هريرة و طاووس و الشعبى ، و قال ابن جريج إمام أهل الحجاز فى القرن الثانى الهجرى و من علماء التفسير ما يلى :

و سأل المؤمنون رسول الله ﷺ ماذا ينفقون ؟ فنزلت الآية يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى و المساكين و ابن السبيل قال فتلك التطوع والزكاة سوى ذلك .

أما القيود الجماعية المفروضة على الملكية الفردية فان الفقهاء قد تعرضوا لها فى كتب الفقه والأصول خلال بحثهم عن الضرر والنهى عن وقوعه كما أنهم قيدوا نمو هذه الملكية إذا كان هذا النمو يسير بطريق غير شرعى يلحق الاذى و الضيق بالناس ، كالملكية التى تنمو عن طريق الربا و الاحتكار و الاضرار بالناس ، روى ابن عباس و عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ أنه قال : لا ضرر و لا ضرار ، و يعتبر هذا الحديث ذا أهمية كبيرة فى التشريع الاسلامى ، و هو قاعدة عامة شاملة مانعة لجميع أنواع الضرر بأى صفة كان كما يقول الشوكانى فى نيل الأوطار .

و قال أبو داؤد عن هذا الحديث : إنه من الأحاديث التى يدور الفقه عليها ، وقال ابن رجب الحنبلى فى كتابه (جامع العلوم و الحكم) إن المالك إذ تصرف فى ملكه بما يتعدى ضرره إلى غيره فان كان على غير الوجه المعتاد ، يضمن لأنه متعد .

و بناء على ذلك أفتى أصحاب أحمد بجواز اجبار المالك على أن يسكن فى بيته من لا مأوى له إذا كان بيته يتسع لذلك

و قال ابن القيم فى ذلك : إذ قدر أن قوما اضطروا إلى السكنى فى بيت إنسان لا يجدون سواه أو النزول فى خان مملوك ، وجب على صاحبه بذله بلا نزاع .

و هكذا يتبين لنا بشكل واضح موقف الاسلام من الملكية ، وأنه قد أقر الملكية الفردية و لكنه رتب عليها حقوقا مالية لمصلحة المجتمع كفريضة الزكاة و فريضة التكافل الاجتماعى و النفقات و غير ذلك من الواجبات المالية المفروضة على الموسرين

و لم يكتف الاسلام بذلك بل قيد الملكية و شرط على المالك ألا يتصرف فيها تصرفا يلحق الضرر بالناس و بذلك يكون الاسلام قد أمر الدوافع الذاتية و الغرائز الطبيعية فى إقراره للملكية الفردية ، و قيد تلك الملكية حتى لا تكون وسيلة إلى الحاق الضرر بالمجتمع بل جعلها وسيلة لخدمة ذلك المجتمع .

مشكلة الفقر فى المجتمع الاسلامى :

إن من أكبر المشكلات التى يعانيها المجتمع المعاصر هى مشكلة الفقر ولعل سبب الصراع القائم اليوم بين العالمين الرأسمالى و الشيوعى يعود إلى الطريقة التى يعالج كل منهما هذه المشكلة .

فالنظم الرأسمالية تعتمد فى معالجتها لمشكلة الفقر على فكرة الاحسان الفردى الذى يقدمه الغنى إلى الفقير دون أن يكون هناك أى التزام على الغنى تجاه الفقير .

والنظم الشيوعية تدعى نصرة الفقير وتحاول العمل لرفع مستواه المعيشى لتقضى على فكرة الفقر فى المجتمع ، و لكن الطريق الذى تتبعه فى ذلك غريب فهى بدلا من أن ترفع مستوى الفقير إلى مستوى الغنى فانها تعاقب الغنى و تصادر أمواله ثم تلحقه بطبقة الفقراء وعلى ذلك فهى تزيد المشكلة تعقيداً لأنها تجعل جميع أفراد المجتمع فقراء ، وبدلا من أن تكون المشكلة هى مشكلة طبقة محدودة من الناس فان المشكلة تصبح مشكلة مجتمع بأسره .

أما الاسلام فقد عالج هذه المشكلة علاجا واقعياً بسيطاً فلم يصادر أموال الأغنياء كما فعلت الشيوعية و لم يترك الفقراء يتضرعون من الجوع اعتماداً على فكرة الاحسان كما فعلت النظم الرأسمالية وإنما فرض للفقراء حقاً معلوما فى أموال الأغنياء و هو الزكاة ، فاذا امتنع الأغنياء عن رفع الحق ، فعندئذ يحق لولى الأمر أن يجبرهم على ذلك و لو أدى الأمر إلى قتالهم كما فعل أبو بكر الصديق مع مانعى الزكاة .

و الزكاة هى الضريبة المفروضة على رؤوس الأموال تؤخذ ممن ملكوا النصاب الكامل وتدفع إلى الفقراء حقاً معلوما لهم ، وتقوم الدولة بجباية تلك الاموال لتوزعها على مستحقيها بالطريق الذى يحفظ للاسلام مكانته وللمجتمع الاسلامى توازنه ، حتى يعيش الجميع تحت رأية الاسلام فى سعادة و رخاء .

وهنا أحب أن أقارن بين نظام الزكاة والنظم الضريبية القائمة فى العصر الحديث ، إن كل متتبع لدراسة علم المالية العامة يلاحظ أن الاسلام قد طبق منذ ثلاثه عشر قرناً أحدث ما توصلت إليه النظريات الحديثة فى علم المالية العامة فى مجال تطبيق الضريبة إذ أخذ بمبدء تعدد الضريبة على

رأس المال و إعفاء الحد الأدنى للحياة من الضريبة .

و قد فرض الاسلام الزكاة على جميع أنواع الأموال سواء كانت أموالا نقدية أو أموالا عينية بنسب محدودة معلومة و فائدة الضريبة المتعددة أنها لا تشعر دافع الضريبة بالثقل و لا ترهقه بالدفع لأنها موزعة على جميع أنواع المال كما أنها تحقق العدالة فى توزيع الضرائب على المالكين .

و قد كانت النظم المالية المعاصرة إلى عهد قريب تأخذ بمبدء الضريبة الموحدة المفروضة على أصل الثروة غير أن هذه السياسة المالية قد لقيت معارضة شديدة فى العصر الحديث لأنها كانت تشكل عبئاً كبيراً على المالك مما جعل هذه النظرية تتراجع أمام مبدء الضريبة المتعددة المفروضة على جميع أنواع الدخل .

و بالاضافة إلى ذلك فقد أخذ الاسلام بمبدأ إعفاء الحد الأدنى للعيشة من الزكاة و هذا الحد هو النصاب فاذا لم تبلغ أموال الفرد النصاب الكامل فلا زكاة، وهذا ما أخذت به أحدث النظريات الحديثة فى علم المالية وهكذا تبين لنا قدرة هذا النظام الاسلامى على أن يكون مصدراً رئيسياً من مصادر التشريع المالى فى البلاد العربية الاسلامية .

و هناك نقطة أخرى أحب أن أعرض لها هى أن حق الزكاة قد لعب دوراً كبيراً فى تطوير فكرة الاحسان فى العصر الحديث إذ كانت هذه الفكرة فى القديم تقتضى بأن يقوم الغنى باعطاء الفقير قدراً معيناً من المال منحة منه و فضلا دون أن يكون ملزما بذلك و من الطبيعى فان عدد المحسنين لم يتجاوز العدد القليل و بالتالى تفاقمت مشكلة الفقر و لم تكن الدولة قادرة على التدخل إلى جانب الفقير لأنها لم تملك الحق فى

اقتطاع جزء من مال الغنى لصالح الفقير لأن القانون لا يسمح لها بذلك و كانت النتيجة أن انتشر الفقر فى كل مكان .

و لما جاء الاسلام فرض الزكاة و نقل مفهوم الاحسان من فكرة الاختيار إلى فكرة الواجب. إذ أصبح الفقير بموجب فريضة الزكاة يشارك الغنى فى جزء معلوم من ماله و هو مقدار الزكاة بحيث لا يستطيع الغنى أن يتخلف عن دفع هذا الحق، وعاش الفقير فى المجتمع الاسلامى خلال تاريخه الطويل ينعم بالسعادة و يتقاضى حقه كاملا من أموال الأغنياء ، وكانت الدولة الاسلامية تقوم بجباية تلك الأموال من الأغنياء و تعطيها لمستحقيها من الفقراء حقاً معلوما لهم. ولم يعترف المجتمع الغربى بحق الفقراء فى أموال الأغنياء إلا فى بداية القرن السابع عشر عندما اضطرت ملكة انكلترا عام ١٦٠١ أن تعترف بحق الفقراء فأصدرت قانوناً سمته (قانون الفقراء) ثم اضطرت بعد ذلك أمريكا وغيرها أن تلحق بانكلترا فى هذا الطريق ، ثم تتابعت القوانين بعد ذلك فى أوربا معترفة بحق الفقراء كما أشار إلى ذلك المستر (دانيل جيرج) فى محاضرته التى ألقاها فى حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية عام ١٩٥٢م فى دمشق و قد تحدث عن تطور التكافل الاجتماعى فى العالم .

و هكذا يتبين لنا بكل وضوح الطريق الذى رسمه الاسلام لمعالجة هذه المشكلة و بهذا التشريع العظيم عاش الفقراء فى رحاب التشريع الاسلامى فى سعادة و سرور فى الوقت الذى كان الفقراء فى أوربا يتضرعون من الجوع و الألم فى ظل نظام الاقطاع الذى كان يخيم على أوربا خلال العصور الوسطى .

و لو حاول المسلمون اليوم تطبيق نظام الزكاة تطبيقاً صحيحاً لقضوا على مشكلة الفقر قضاء مبرما و لاستطاعوا أن يبنوا مجتمعاً صالحاً يقوم على أسس متينة من العدالة و الكفاية و لاستطاعوا أيضاً أن يقدموا للبشرية نموذجا مثالياً للمجتمعات الصالحة التى تقوم على الحب و التعاون و الاخوة و السلام .

أيها السادة إن النظام الاقتصادى الاسلامى هو نظام متميز عن كل من النظم الرأسمالية والاشتراكيه . وإن الحاق النظام الاقصادى الاسلامى بأحد هذين النظامين هو قضاء على هذا النظام المتميز فلا يجوز وصفه بالرأسمالية و الاشتراكية بل هو نظام إسلامى متكامل .

و قد لاحظنا هذا الاستقلال بشكل واضح عندما عرضنا نظرية الحق و بينا أن نظرية الحق فى الفقه الاسلامى هى نظرية تختلف كل الاختلاف عن كل من النظامين الآخرين لأن الاسلام يعترف بفكرة الحق ولكنه يقيد هذا الحق بقيود كثيرة حتى لا يطغى على مصالح الجماعة بالاضافة إلى أن الحق فى الشريعة الاسلامية ليس مستقلا بذاته و إنما هو ممنوح للافراد ، و الشريعة هى التى تمنحه و بذلك يرتبط الانسان فى تصرفه فى حقه بما تأمره به الشريعة و لا يجوز له أن يتعدى ذلك كما لا يجوز للوكيل أن يتصرف فيما وكل به إلاضمن الحدود التى حددها له الموكل .

و لا تكتفى الشريعة بذلك بل تتعداه إلى تقييد هذا الحق بالارادة الباطنة ، وعلى هذا فاذا تصرف الانسان فى حقه الممنوح له فيه و أراد بذلك الحاق الضرر بالآخرين أعتبر متعسفاً فى حقه، وعندئذ يمنع من هذا التصرف .

و يمكننا أن نفرق هنا بين تجاوز الحق والتصرف فى استعمال الحق فى موضوع الوصية فمن أوصى بأكثر من الثلث أعتبر متعديا لحقه و مجاوزاً له لأن الفرد لا يجوز له أن يوصى بأكثر من الثلث و هذا هو الخروج عن الحق .

و إذا أوصى الانسان بالثلث فهذا جائز و لكن إذا أراد بهذه الوصية الحاق الضرر بالورثة اعتبر متعسفاً فى استعمال حقه. لأنه لا يجوز للانسان أن يقصد من الوصية المباحة الحاق الضرر بالآخرين و هذا العمل يسمى فى القانون المدنى بنظرية التعسف فى استعمال الحق ، و يسمى فى الشريعة الاسلامية بنظرية المضارة .

و من الغريب أن يدعى رجال القانون الفرنسى اليوم بأنهم أول من اكتشف هذه النظرية و هى نظرية التعسف ويفخرون بهذا الاكتشاف العظيم الذى توصلوا إليه فى مطلع هذا القرن مع أن هذه النظريه موجودة فى تشريعنا باسم آخر و هو (المضارة أو العمل الضار) كما اتضح لنا فى مثال الوصية .

و حينما ننتقل إلى بحث الملكية نلاحظ الموقف الوسط الذى يقفه الاسلام من الملكية فهو يقر الملكية كما اتضح لنا و لكنه يقيد المالك بقيود إيجابية و سلبية مفروضة لصالح الجماعة و هذه القيود هى الحقوق المرتبة على الملكية حتى لا يطغى صاحبها فى استعمالها على الجماعة فيلحق الضرر بهم، و من هذه القيود قيود ايجابية كوجوب الزكاة وغيرها من الحقوق المرتبة على الملكية و قيود سلبية كعدم استعمال الملكية فيما يلحق الضرر بالجماعة .

و قد لاحظت فى الأيام الأخيرة عدداً كبيراً من العلماء المحدثين يكتبون عن الملكية أو يتحدثون عنها فيقولون بأن (الملكية وظيفة اجتماعية) ويقصدون بذلك الحقوق المرتبة على الملكية لصالح الجماعة غير أن اطلاق هذا الوصف على الملكية خاطئ كل الخطأ لأن هذه الكلمة مستعملة فى المذاهب الماركسية و قد نقلها هؤلاء العلماء عن حسن نية و مادروا بأنهم وصفوا الملكية بوصف بعيد عن الحقيقة فمعنى كلمة الملكية وظيفة اجتماعية أى سلبوا فكرة الحق فى الملكية و جعلوها مجرد وظيفة يقوم بها الفرد كما يقوم أى موظف بوظيفته و هذا شئ خطير و قد بينا أن الاسلام لا ينكر فكرة الحق فى الملكية بل يعترف بها و لكنه يرتب عليها حقوقا للجماعة و لذلك أرجو أن يحذر علماؤنا من استعمال مثل هذه التعابير التى تدخل عليهم عفواً و بدون قصد .

و أخيراً لاحظنا الطريقة التى عالج الاسلام بها مشكلة الفقر. و بينا كيف أن حقوق الفقراء ظلت مهدورة فى غير العالم الاسلامى حتى القرن السابع عشر الميلادى حينما صدر فى انكلترا أول قانون يعترف بحق الفقراء وبحماية دولة لهم بينما فرض الاسلام للفقراء حقاً معلوما فى أموال الأغنياء و لم يجعل هذا الحق إحساناً يدفعه الأغنياء إلى الفقراء و لكنه واجب و على الدولة أن تقوم بتنفيذه بقوة سلطانها و لهذا يحق للطبقة الفقيرة فى كل مجتمع و فى كل أرض أن تحتفل باليوم الذى ظهرت فيه الدعوة الاسلامية ويجب عليها أن تعتبر هذا اليوم التاريخى العظيم هو عيداً لها لأن الاسلام هو أول من أعلن ضمان حقوق الفقراء . ﴿يتبع﴾

حاجة الانسان إلى معيشة افضل !

سعيد الأعظمى الندوى

الحياة السعيدة حاجة كل إنسان طموح ، و ضرورته التى لايستغنى عنها فى أى حال ، و هو لكى يعيش مطمئن البال ، هادىء النفس لايستطيع أن يكتفى بتحقيق مطالب الروح وحدها أو يقتصر بارضاء شهوة البطن و نزوات الجسد وحدها ، و إنما هو بحاجة إلى الجمع بينهما بالقصد والعدل دون أن يبخس حق واحد منهما أو يقصر فى ناحية من نواحيهما « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »

و السعادة لا يتحقق بالانزواء عن ركب الحياة و الزهد عن الدنيا بتاتاً ، بل إنها تتطلب مجتمعاً يتعاون أعضاؤه على البر و المواساة ، و يجتمعوا على تبادل الخير و المنافع و التعاضد و التآزر ، و يعيشوا فى جو من الايثار و الانفاق ، كل حريص على نصرة أخيه ، وشديده ، عاملا بمبدء « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه »

و بما أن الانسان ليس مخلوقا ملائكياً لا يفتقر إلى المعاش و طلب الرزق ، بل هو مخلوق بحمل الروح و المادة على السواء ، و يحتاج إلى قضاء مآربهما كذلك ، أمره الله سبحانه و تعالى بابتغاء فضله و الطيبات من الرزق ، فقال : و آخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله»

و قال فى سورة الجمعة « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله و اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » ولكن الاسلام يحدد لكل من الروح و المادة قيمتها و مكانتهما ، فيحرم الاشتغال بالتجارة و اكتساب المال و الرزق حينما أقيمت الصلاة أو نودى لصلاة الجمعة ، كما يجب إلى النفس الاستمتاع من نعم الله و طيباته فى غير وقت الصلاة ، و يعلن مدوياً : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده و الطيبات من الرزق »

و ذلك هو الطرق الوسط الذى يتخذه الاسلام لأتباعه فى الحياة الدنيا و يحثهم على الاقتصاد فيها ، و يقرر لاعطاء كل جانب حقه حدوداً واضحة المعالم ، بينة الخطوط ، فلا إفراط و لا تفريط ، و لا إسراف و لا تقصير ، و لا إقتار و لا تبذير ، و يقول : « و آت ذا القربى حقه و المسكين و ابن السبيل و لا تبذير تبذيراً ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، و كان الشيطان لربه كفوراً و إما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسوراً ، و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لا تبسطها كل البسط فتعقد ملوما محسوراً »

فالاسلام أحق بكلمة الاقتصاد بمعنى الاعتدلال فى النفقة و المعيشة دون غيره من المذاهب الاقتصادية لأنها لا تقوم على القصد و العدل ، بل على الانحراف و الاسراف ، و ناهيك بالمذهبين الاقتصاديين الذين توزعا العالم بين معسكرين متضادين ، وأعنى بهما الاشتراكية ، والرأسمالية.

أما الاشتراكية التى اخترعها كارل ماركس فقد جنت على الانسانية مايعرفه كل من له سمع و بصر ، و هى التى جرت على الدول الاشتراكية شقاء

و جحيما ، و هى التى زادت فى قائمة الحفاة العراة الجياع زيادة هائلة تقشعر منها الجلود

و كذلك الرأسمالية التى استهدفت اكتناز المال و تكديس الثروة بأيد معدودة ، و أنشأت فى العالم فئة كبيرة من الأغنياء و الأثرياء ، بجانب العمال و الفقراء ، و وزعت الناس بين طائفتين ، و أقامت بينهما حدوداً و سدوداً ، تعيش كل واحدة بمعزل عن الأخرى

و قد شهد التاريخ الانسانى القديم صراعا عنيفاً بين الاشتراكية المزدكية و رأسمالية الأثرياء ، أقام مجتمعين متعارضين ، و كتلتين متنافستين فلم يجن التاريخ من ذلك الصراع إلا معاكسة و مناحرة و حروباً طاحنة ذهب ضحيتها الأبرياء و البسطاء من الناس ، و استغلها المغرضون لتحقيق مآربهم الخسيسة و أغراضهم الرخيصة .

و لو ذهبنا نتعمق فى العوامل التى ألقت العالم فى مجرى الحروب الكبرى ، و أذاقته شقاء و عذاباً وسامته خسفاً و ذلا بدا لنا أن السباق فى الثراء و الترف و التنافس فى أسباب الرخاء و البذخ بصرف النظر عن الفقراء و حاجاتهم ، و غض البصر عن المساكين و آلامهم هو السبب الوحيد الذى جر العالم إلى حروب مدمرة و ملاحم مريرة قاسية ، هزت الدنيا كلها

ولذلك يحتل الاقتصاد جانباً كبيراً فى الحياة الانسانية ويملأ فراغا هائلا فيها ، و هو فراغ مادى تملؤه المادة من الرزق و المال و الطيبات لا يملؤه شئ آخر ، و لكن قبل أن يملاء الانسان هذا الفراغ يجب عليه أن يراعى آداباً قررها الله سبحانه و تعالى حتى لا يقع فى إفراط أو

تفريط ، و لا يستولى عليه حب المال و المادة و لا يستحوذ عليه الشيطان فينسيه وظيفته ، و يذهله مكانتـه ، و يتركه حيواناً لا شأن له إلا إرضاء شهواته و نزواته .

فالاسلام يذم الاسراف و تخطى الحدود فى الوفاء بحاجات الحياة المادية و كسب المال ، و يعتبره مذهلا عن الغاية الأصيلة التى خلق الانسان لأجلها و كل شئ يحول دون وصوله إلى الطريق المستقيم ، و الحصول على مرضاة الله ليس من الاسلام فى شئ ، كما يذم الاسـلام نزعة التقشف والزهد عن الدنيا التى تنتج الرهبانية ، و تبعث الخمود والجمود فى الحياة و تحرمـه النشاط المطلوب فى مجال الاكتساب و الاسترزاق « رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم »

و إنما يتخذ الاسلام طريقاً وسطاً بين هذا و ذاك ، فلا يملى له العنان حتى يرتع فى الحلال و الحرام ، و لا يغل يده حتى يضيق عليه الخناق ، ويسد فى وجهه طرق الكسب و الاقتيات ، وهذا هو الاقتصاد الذى يمتاز به الاسلام وحده فى المعاش لا تعرفه المذاهب و الفلسفات الاقتصادية الأخرى .

و أود أن أبحث بعض الجوانب المهمة للاقتصاد الاسلامى و أبرز بعض ملامحه بازاء النظريات الاقتصادية الأخرى التى تبدو من بعيد كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، و وجد الله عند فوفاه حسابه ، و الله سريع الحساب ،

يشجع الاسلام الاكتساب و العمل ، و يقرر له أصولا ومبادىء و حدوداً و معالم ، لئلا يطغى جانب عـلى جانب و لا يحدث اختلال

الاتزان بين القيم الروحية و المادية إنه يعترف بالملكية الخاصة الفردية و يقرر لها حدوداً إذا تجاوزتها تحولت إثماً ، و يستفاد هذا المعنى من قوله تعالى : و هو الذى أنشأ جنات معروشات و غير معروشات و النخل و الزرع مختلفاً أكله ، و الزيتون و الرمان متشابها و غير متشابه ، كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ، و لا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين ، و يقول : « كلوا مما رزقكم الله ولاتتبعوا خطوات الشيطان ،

أما الاشتراكية التى لا تعترف بالملكية الخاصـة لمصادر الانتاج Factors of Production فهى تحارب فى ذلك غريزة الانسان المفطور على حب التملك ، و تكبت فيه نزعة النشاط الاقتصادى الذى هو أساس كل نشاط بعده . و لكن الاسلام لا يطلق العنان للمالك يصرف فى ملكه كيف يشاء ، بل إنه يعتبر هذا الملك كله لله ، و يعتبر مالكه خليفـة الله فى الأرض فيضع له قواعد أساسية إذا قامت عليها الملكية و تصرفت فى ضوئها تكن مما يرضى به الاسلام و يعده أحسن مال و أطيب ملك. « و لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل و تدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم و أنتم تعلمون » « الذين ينفقون أموالهم بالليل و النهار سراً و علانية فلهم أجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون »

و يوجه إنذاراً شديداً و وعيداً كبيراً إلى الذين يدخرون المال و يعتبرونه ملكهم الخاص و لا يرون فيه حقاً لأحد فيقول : الذين يكنزون الذهب والفضة و لا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم هذا ماكنزتم

لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »

ولننظر كيف ينظم الاسلام حق التصرف فى الملكية الفردية :

الملكية الفردية لا تنحصر فى النقود و الأموال فقد يملك الانسان أموالا و قد يملك زراعة أو صناعة أو معدناً ، كما يمتلك أحياناً ثروات أخرى من الحيوانات و الماشية و ما إلى ذلك من مصادر الانتاج ، و الاسلام يراقب عليها مراقبة دقيقة و يشرف على هذه الناحية فلا يترك المرء تستولى عليه نهامة جمع المال و تكديس الثروة دون استعمالها فى مواضعها و إنفاقها فى وجوهها ، و لذلك حرم الاسلام احتكار المال و الثروة و إبقاءه محصوراً عاطلا لا يثمر و لا يستثمر و لا يعود عليه و على المجتمع بخير

كما يشنع الاسراف و التقتير أو إنفاقه فى غير محله مما لا فائدة فيه لأن فائدة المال ليست فى التبذير ، فان التبذير معناه إنفاق المال على غير قصد و تبديده، و التقتير معناه التضييق فى النفقة بحيث نختنق الحوائج فى الصدور على رغم أن المال موجود متوافر ، و كل واحد من الاسراف و التقتير يحول دون وصول الحق إلى ذوى الحقوق ، ويقضى على وجوه النشاط الاقتصادى ، و يضر بالمصالح الجماعية التى يحرص عليها الاسلام ويعتبرها دعامة أقوى فى بناء المجتمع الأفضل، وإلى هذا المعنى يشير القرآن بقوله تعالى : « و الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ، و لم يقتروا و كان بين ذلك قواما »

ثم يطلب الاسلام من صاحب المال أن لا يستبد بماله و لا يخصه بنفسه ومصالحه بل ينظر إلى الحقوق التى تعود عليه ويوفيها برحابة صدر

« و آتوهم من مال الله الذى آتاكم » « و أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» و يوجه الويل و الاستنكار إلى من جمع المال و عدده فيقول : « ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا و عدده . يحسب أن ماله أخلده » ويمنع عن كل تصرف يلحق الضرر بغيره أو يعتدى على المصالح الفردية والجماعية كالربا و الاحتكار و ما أشبههما و فى الحديث « لا ضرر و لا ضرار .

و كل تعامل يفضى إلى الاضرار و غمط الحقوق يعتبر عدواناً على التشريع الاسلامى ، وإيذاناً بالحرب على الاسلام . و لذلك يعير الفقهاء هذا الحديث أهمية كبيرة و يجعلونه مبدأ يعتمدون عليه فى وضع القاعدة العامة التى تحفظ المجتمع من جميع أنواع الضرر ، و تصون كيانه عن الانهيار تعيد إليه الاتزان و الاستقرار .

فلما كان المال ليس إلا ملكا لله فى الحقيقة و هو يقدر فى كل لمحة أن ينتزعه من صاحبه يجب على كل من رزق ملكا خاصاً أن يتذكر الحقوق التى لا يتزكى المال بدون أدائها ، و هى أولا الزكاة : التى سنتحدث عنها فى العدد القادم باذن الله .

﴿ يتبع ﴾

● الأدب سلاح من صميم الحياة ، إنه يصور ما فى هذه الحياة من أفراح و أتراح و آلام و أحلام ، إنه يهز أوتار القلوب و يوقظ المؤهلات النائمة و يلهب الجذوة الكامنة ، إنه يبنى و يهدم و يصلح و يفسد و يصدق و يكذب فليكن هذا السلاح فى أيدى المؤمنين الأبرار الأطهار أولى الأيدى والأبصار يضعونه فى خدمة الدعوة يلعب دوره العظيم بين الآداب الجاهلية الجنسية المحترفة التى طغت على البلاد فأكثرت فيها الفساد .

فى رياض الشعر والأدب

بردى

حر .. أسير ... !

الأستاذ عمر بهاء الدين الأميرى

ما غنائى فى أمة ضاع معناها
٭ ٭ ٭ فضاع المبنى ، و راع المصير
يا إلهى ، تفاقم الأمر و العمر تولى ، و عز عز النصير
يحسن الظن بى أناس كرام
ليتنى بالذى يظن جدير !

● ● ●

كيف أمضى و حلكة التيه حولى تتداجى ، و الأمر صعب خطير
و دروبى تشابكت ، و استرابت و ترامت و شق فيها المسير
يلبس الشوك موقع الخطو منى
و يعوق انطلاق سعيى العثير

● ● ●

و الدنى حيثما اتجهت شياطين
حسان ، يفوح منـــها العبير
و أنا شـــاعر ، و للشعر نزع
مستطاب الرؤى ، غرور مثير

● ● ●

عفـــوك الله أنت سويت ذاتى
و صفـانى ، فمن سواك يجير ! ؟
أنا لولاك كنت أعلنت يأسى
فاستراحت نفسى ، و كف الضمير

● ● ●

بيد أنى و للأمانة داع ،
مـــلء سمعى ، و للجهـــاد نفـــير
و حداء القرآن يشحذ روحى
بأذان هو البشـــير النذير

● ● ●

سوف أمضـــى بعزم حر أســـير
و عـــلى الله أن يفك الأسير !

قاموس

الأستاذ سهام الدين المصرى

الانتهازية !

أصل الكلمة من نهزة ، و النهزة - بضم النون و فتح الزاء - الفرصة التى تجدها من صاحبك ، و يقال : إنتهز فلان الفرصة : أى قبلها و أسرع فى تناولها ، و المناهزة : أى المبادرة .

و منها أخذت : « الانتهازية » أى تحين الفرص لاغتنامها ، و من الناس من يحلف و يشق القميص أنه لن يتعاون مع فلان ، فاذا جاءت الظروف على عكس ما يشتهى مد إليه اليد صاغراً و صافح « الفلان » فهذا انتهازى ، و إن حلف فلاتصدقه .

والانتهازية كلمة مشتقة من فعل ، و الفعل ما دل على عمل والتعامل مع « الفلانيين » بعد قطع اليد التى تتعامـــل معهم ! هو انتهازية فرص لاستخدامها لتثبيت دعائم « أمرما » و التصريح من قبل « معلق ما » بأنه « فلان » هو عظيم و يطبق «أمرما» فى مسألة « ما » بعد أن سب وشتم « صاحبه » فى خطاب « ما » هو عين الانتهازية .

و عندما تنفصم وحدة أمر « ما » يسمى أولئك « الانفصاليون »

لكن عندما يتعامل أولئك وهؤلاء مع بعضهم فاننا نطلق كلمة هجمية محرفة هى « الانتهازيون » أو فى معنى آخر : تفاهم الانتهازيون ، و عندما تتبادل الشتائم يقول الشاعر :

ولقد علمت ، إذا الرجال تناهزوا أبي و إيـــكم أعز و أمنـــع

الديكتاتورية !

الكلمة أجنبية و معناها « إستبد » .

و استبد بالشئ : إنفرد به ، و فى حديث على رضوان الله عليه « كنا نرى أن لنا فى هذا الأمر حقاً فاستبددتم علينا »

و يقال : إستبد بالحكم ، أى انفرد به دون غيره .

و الاستبداد يعمل ما هو « ديكتاتورية » فيه . . و اشتقت الكلمة حتى أصبحت « خاصة » للحكام ** و هم من يستبدون بالسلطات جميعاً ** فلا صغيرة و لا كبيرة إلا برأيهم و بمشورتهم ** و لا تقطع قاطعة و لا توصل إلا بالاستئذان ** و الشعب مغلوب على أمره فى ذلك ، لأن السلطة الحاكمة بين يدى ** ديكتاتور !

لذا سمى مستبد ، و فى سبيل فرض رأيه - هذا الديكتاتور - يقتل الناس ، ويعلق المشانق وينصب المقاصل ويرفع أدوات التعذيب ، وهم أخبر الناس بذلك ، لأن مقومات الحكم بين أيديهم .

و قتل المفكرين و العلماء و الطلاب تكملة لمفهوم الديكتاتورية إذ لا يكمل معناها إلا إذا كملت مقوماتها ** و دائماً تكون العاقبة وخيمة بالنسبة لهؤلاء ، و إن طغوا وبغوا وزادوا فى طغيانهم لأن الله عزوجل يمهل و لا يهمل ، و يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يتركه .

الاستغلالية !

الكلمة مأخوذة من الغل ، و معناها القابض ، و منها المستغل و هو الذى يقبض على زمام الشئ و قيل : الخيانة و السرقة الخفية ** ومنها الاسلال ، و يقال : سل البعير و غيره فى جوف الليل إذا انتزعه من الابل .

سل : أى سرق ** و الفاعل : سلال .

و أحياناً لا تكفى الأشياء للسرقة ، فيعمد السارق أو المستغل إلى سرقة المعنويات .

و كل ما يستغل من مال و منصب و حكم يسمى باستغلال .

و استغلال الحكم يأتى بالمال و الجاه و السدة ، لذا كانت سرقته مربحة أكثر من سرقة المال ، و ليس فى كل الحالات يفيد ، و ليس الكل يعرف كيف يستخدم هذه (الاستغلالية) و كثيراً ما تنقلب عليه و يصبح مسخرة أمام الناس .

و « الاستغلالية » قابلة للتناقل من طغمة لأخرى .

العالم الاسلامى أسرة هذه الفئة المومنة المنتشرة فى الكرة الأرضية كلها وهبت نفسها لله و آمنت بوعده و صدقت بكلماته و وضعت مكاسبها و مواهبها و مؤهلاتها فى سبيل الدعوة ، فلاشت لديها كل هذه الفروق والفواصل و الحدود والقيود و الألوان والأوطان التى يتغنى بها أهل هذا الزمان ، ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين، يلتقى فيها العربى مع الأخ الهندى والباكستانى و الأفغانى و التركى و الاندونيسى يشارك بعضه بعضاً فى آلامه و مسراته و شدته و رخائه ، ويشد أزر أخيه فى مشكلاته وأزماته امتثالا لأمر الله تعالى والمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى .

العالم الإسلامي

بدوى

منهج رجال التبليغ فى الدعوة والاصلاح

الأستاذ وحيد الدين خان
تعريب : إقبال الأعظمى الندوى

تختلف حركة منهج التبليغ عن الحركات الاسلامية الأخرى فى كثير من المجالات الفكرية و الحيوية ، و قد يظن بعض الناس أن التبليغ حركة تدعو إلى الصلاة و كلمة « لا إله إلا الله » فحسب . و هذا خطأ جسيم ، و التعبير الأصح أنها تهدف إلى إنعاش « اليقين » و « الايمان » الايمان بالحقائق الغيبية و الايمان بالله و قدرته و صفاته .

و لذلك كان مؤسس هذه الحركة الشيخ محمد إلياس رحمة الله عليه يسمى هذه الحركة « بحركة الايمان » و يقول إن المناهج و الأساليب التى عمت و شاعت فى الكون و اعتمد عليها الناس اعتماداً كلياً هى ليست مؤثرة فعالة بنفسها ، بل إن العبرة باليد الخفية التى تتصرف من وراء ستار ، و لكن الناس يعتبرون هذه الصور و الأشكال و المناهج و الأساليب المادية الظاهرة حقيقة و أصلا ، إننا لا نعارض هذه المناهج و الأسباب و لكن لا نؤمن إلا بالقوة الغيبية و لا نعتمد على الأسباب الظاهرة ، نحن لا ننكر الأسباب والوسائل ولكن ننكر الاتكال على هذه الأسباب و الوسائل .

فجاءت دعوة التبليغ تدور حول شئ واحد ، و هو شئ أساسى

فى هذه الحركة و محورها ، و هو أن تنفى من قلوبنا هذا الايمان بالصور و الأشكال و نؤمن بالحقائق الغيبية و النصر الالهى الخارق للعادة ، و القياس ، و القوة المادية ، فلم يكن الخلاف بين حركة التبليغ و الجماعات الأخرى فى فهم الدين القاصر ، و فى فهم الدين الواسع ، بل إنما الخلاف فى الحقل الذى يبذل فيه الجهد لاحياء الدين و إعلاء كلمته

إن رجال التبليغ يؤمنون بأن الاعتماد على الله و الاستعانة بالله و الجهاد الخالص فى سبيل الله هو ميدان كفاح المسلمين ، و أن الانسان سينال كل أمنيته بعد إجهاد نفسه فى هذا السبيل . لأن الأمر كله لله ، فالأمور التكوينية تابعة للتشريعية ، فلو اتبعنا النظام التشريعى ساعدنا النظام التكوينى

لقد ركز قوم سبا كل جهودهم و عنايتهم على مجال الزراعة ، وقوم شعيب على الصناعة و التجارة ، و فرعون على ملكه ، و قارون على ماله فكان عاقبتهم الخسران فى الدنيا و الآخرة ، و أما الصحابة رضى الله عنهم فانهم شغلوا أنفسهم بالايمان و الصلاة ، فسخر الله لهم كل شئ ، و لذلك فان أساس النجاح و الخسران يختفى فى داخل الانسان و إنه لايستورده من الخارج ، و إلا فكيف عبر أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه البحر مع اثنى عشر ألف جندى ، إنما كانت نتيجة اليقين تابعة لنظام غيبى لاتدركه الابصار و لا تتدخل فيه الأسباب ، و أما نحن فنوقن بالنظام المرئى الظاهرى الملموس وحده

و عندما يرسخ هذا الايمان بالغيب فى قلب المؤمن لا تسخر له مراكز التجارة و الأسواق و المصانع فحسب بل تسخر له الريح وتجرى

بأمره رخاء حيث أصاب ، و يسمع نداء عمر رضى الله عنه - و كان فى المدنية - فى جبال نهاوند فى فارس ، و كذلك يسخر له الحيوان والسباع والغابات كما زجر الصحابة مرة السباع والوحوش فهربت مسرعة و يسخر له البحار و الانهار كما عبرها عدد من الصحابة مع الخيل و الحمير و الجمال

إن حركة التبليغ ترى أن مثل الذى يستعين - لأى حاجة من حاجاته - بغير الله كمثل رجل يبذل قصارى جهده لاضاءة غرفة بالمصباح الكهربائى دون أن تتوصل يده إلى الزر الكهربائى و أن العوامل و الأسباب التى يعلو بها الدين و ينتصر بها المؤمنون هى أيضاً بيد الله ، فالطريق الصحيح لنيل هذه الغاية أن يجلب نصر الله بعد إرضائه ، لأن أوضاع الكون لن تتغير إلا بعد أن يتمكن الدين فى سويداء قلوبهم

و قد بنى أساس دعوة التبليغ على الوجدان و القلب ، أكثر من التفكير والفلسفة ، فان للدعوة منهجين : الأول أن تبلغ الدعوة بالاقناع النظرى ، و الثانى : بالوجدان و الشعور ، ففى الصورة الأولى لا يكون الأمر لائقاً بالقبول للمخاطب إلا بعد إقناعه عقلياً و منطقياً ، و فى الصورة الثانية تبلغ الدعوة باثارة نزعاته و عواطفه و وجدانه و طبيعته السليمة .

إن الذين ذاقوا طعم الأفكار الفلسفية يفهمون جيداً أن هذا الطريق صعب ، و الحقيقة التى لا تنكر أن تثبيت فكرة عقلياً و منطقياً صعب عسير ، حتى يقول بعض الناس : إن ذلك مستحيل بالنظر إلى التقدم العلمى الحديث

أما إذا نجحت حركة دينية من هذا النوع فى هذا العصر العقلى

فانها لم تنجح بدلائلها العلمية فحسب بل لأنها اتجهت - فى خط من الخطوط - اتجاهاً عاطفياً . فالشيوعية مثلا لم تجد منفذاً إلى العقول و القلوب بمجرد الدلائل و البراهين العلمية ، و المنطق و الدراسة فقد رد عليها العلماء رداً مقنعاً ، و لكنها نجحت مع ذلك نجاحا بارزاً . و ذلك لأنها تجاوبت مع الناس على الصعيد الشعبي أيضاً .

و أما فكرة التقدم البيولوجى ففيها عدة أنواع و ألوان و الأصح أن نقال لها عقيدة أكثر من فكرة . و بالجملة فان السر وراء نجاح هذه الأفكار و النظريات العلمية ليس فى دلائلها العقلية والمنطقية . بل إن ذلك يعود - أصلا - إلى ذلك الجو العاطفى الخاص الذى كان متهيئاً من قبل لقبول كل خطأ أيا كان .

فلما جاءت هذه النظريات صادفت قلوباً خالية فتمكنت فيها ، و لا شك أن بذل الجهد لتثبيت الحقائق الدينية فى ضوء العقل المجرد و المنطق جهد خاسر لا يفضى إلى نتيجة ، و هو إضاعة للجهد و الوقت و المال ، و جهاد فى غير جهاد .

و الحقيقة أن كل فرد سواء كان مبلغاً عاطفياً أو مؤلفاً عقلياً يحاول عرض فكرته مؤيدة بالدلائل . ولابد من أن نعرف جيداً أن للاستدلال معنيين : أولا أن تكون الفكرة ذات تأثير يقبلها ذوق المخاطب و شعوره و وجدانه ، و الثانى هو محاولة إثبات الفكرة بمساعدة العلم والمنطق دون نظر إلى مخاطب خاص ، و ندعو الأول بالأسلوب الوجدانى و الثانى بالاسلوب العقلى .

مثلا هناك رجل يريد إثبات فلسفة تأثير الصحبة فيقول : إن

المصباح يشتعل بالمصباح ، و الانسان يقتبس من نور الانسان ، ونستطيع أن نرد على قوله : إنه مجرد مثال لا دليل ، ومجرد المثال لا يكفى لاثبات فكرة أو دعوى . وكذلك إذا استدل على هذه النظرية بأن البيض تتمتع بدفء جناح الدجاجة واحداً و عشرين يوما ثم تتحول إلى الفراخ ، فكيف لا تكون صحبة رجل صالح أحسن منها نتيجة و أحلى منها ثمراً ، و يمكن لأى رجل أن يرد على هذه النظرية فيقول : إن حرارة جناح الدجاجة هى التى تنتج الفراخ دون جناحها فقط ، وهذا الدفء والحرارة أيضاً لايؤثران إلا فى البيض التى تحمل جرثومة الحياة من قبل دون غيرها.

و تشبه دلائل المبلغين العاطفيين بمثل ما ذكرنا ، و قصدى بهذه الكلمة أن أوضح للقراء أن المنهج الذى اتخذه رجال التبليغ هو أبلغ تأثيراً ونفعاً من المناهج التى تريد إثبات الدين عن طريق العقل والمنطق فحسب و مثل ذلك كمثل الظفر بالعنقاء المغرب ولكن هناك شيئاً آخر يوجد فى هذا العصر أيضاً ، و هو الفطرة و الرواية و سوف لا أكون مبالغاً إذا قلت : إن ٩٩ فى المأة من الشخصيات لم تتكون إلا من قبل عوامل الفطرة و الرواية .

بقيـــة ص ٩٨

بحكم الجماهير

{١٤} و لا عبرة بخبر الرسالة و البرقية و التلفون إلا إذا كان ذلك منظما ، و تواتر الخبر من أمكنة مختلفة ، و رأى العلماء أن الظن راجح بصحة الخبر .

أخبار اجتماعية و ثقافية

قرارات حول رؤية الهلال

قلم التحرير

عقد مجلس الدراسات الشرعية لندوة العلماء بالهند حفلة خاصة دعى إليها أعضاءه (و هم كبار علماء الهند) فى ٢٢ محرم الحرام ١٣٨٧ هـ المصادف ٣ مايو ١٩٦٧ م ، و ذلك للبحث فى قضية رؤية الهلال و ما أثارته الحضارة الحديثه من مشكلات و شبهات حول هذه القضية .

استمرت جلسة الأعضاء يومين متتالين ، ثم أعلن المجلس عن القرارات التى اتخذها حول هذه القضية ، و هى كما يلى :

﴿١﴾ الحقيقة أن لاختلاف المطالع عبرة ، و هى تختلف باختلاف البلاد و ذلك ما تؤيده السنة و اجماع الفقهاء .

﴿٢﴾ و لكن الفقهاء يختلفون فى قبول اختلاف المطالع فى باب الصوم و إفطاره ، اتفق المجلس فى ضوء تصريحات علماء الأمة ، و الفقهاء الأحناف ، و المحققين ، و أدلتهم على أن اختلاف المطالع مسلم فى هذا الباب أيضاً بين البلاد البعيدة ، و أما فى البلاد القريبة فلا عبرة به .

﴿٣﴾ و المراد بالبلاد البعيدة أن يكون الفرق بين بلاد و أخرى ليوم و ليلة فى رؤية الهلال عادة ، و يرى الهلال فى بلد قبل يوم ، و فى بلد آخر بعده ، فان اعتبرنا توحيد المطالع لزم أن يكون الشهر فى بلد

٢٨ يوما و فى آخر ٣١ يوما ، ويؤيد ذلك ما رواه عبدالله بن عباس رضـ

﴿٤﴾ أما البلاد القريبة فهى ما لا يقع الفرق فى رؤية الهلال بينها بيوم وليلة ، و يعبر الفقهاء عن البلاد البعيدة ما يكون بين واحدة وأخرى مسيرة شهر واحد و هى تتراوح بين ٥٠٠ و بين ٦٠٠ ميل عادة ، أما البلاد التى تكون المسافة بينها أقل من هذا فهى بلاد قريبة فى مصطلح الفقهاء ، ولذلك فان المجلس يرى الحاجة إلى جدول يبين اختلاف المطالع على المسافة التى يجرى بها الاختلاف عادة و البلدان التى مطلعها واحد .

﴿٥﴾ و إن مطالع كثير من أقطار الهند و باكستان ، و بعض البلاد القريبة مثل نيبال واحد ، و عليه كان عمل علماء الهند دائماً ، وقد أثبتت ذلك التجربة أيضاً ، فليس بعد المسافة بين مدن هذه البلاد ما يستغرق يوما واحداً ، فحيثما يرى الهلال فى هذين القطرين تعتبر الرؤية بعد الشواهد الشرعية فى هذين القطرين .

﴿٦﴾ و مطالع الأقطار البعيدة مثل الحجاز و مصر تختلف عن مطالع الهند وباكستان لأجل المسافة الشاسعة بينهما ، فلا يلزم اعتبار رؤية الهلال فى تلك الأقطار على أهل هذه الأقطار فى كل حال ، و ذلك لأن المسافة الحائلة بينها وبين الهند وباكستان تؤخر المطلع فيهما بيوم أويزيد .

﴿٧﴾ ولاتعتبر رؤية الهلال عن طريق الطائرة بحيث يتغير المطلع ، و إن الشريعة الاسلامية ما كلفت المسلمين ذلك ، و أما ما ذكر من رؤية الهلال من مكان مرتفع ، فهو ما يعرف فى المدن عامة ، لكيلا يحول ارتفاع الأشجار وعلو البيوت بين الأفق والعيون ، فلو رؤى الهلال بالطائرة من علو يتغير به المطلع لايعتبر ذلك رؤية صحيحة لسكان ذلك البلد

{٨} و أما إعلان رؤية الهلال بالراديو فهو إنما إخبار فقط لا شهادة إصطلاحية ، فلا يقبل خبر رؤية الهلال الذى أذيع بالراديو و لا يفتى بالصوم أو الافطار بناء عليه و لو أذيع نفس الخبر عن عدة محطات .

{٩} إعلان رؤية الهلال بالراديو إنما يكون مقبولا إذا كان صريحاً أذيع من العلماء المسؤلين بالافتاء ، أو باشارة إلى أنهم إنما أفتوا برؤية الهلال وأعلنوها بعد توفر الشهادة الشرعية مثلا أن يعلن مسلم عن محطة إذاعة أن لجنة رؤية الهلال أو جماعة من العلماء ، أو قاضى الشريعة (بتصريح اسمه) أصدروا حكم رؤية الهلال بعد توفر ثبوت شرعى ، و هناك يصح الصوم و الافطار بناءاً على الخبر الصريح .

{١٠} إذا كان المذيع غير مسلم ويذيع نبأ الرؤية من جهة مسؤلة بالشروط المذكورة أعلاه يقبل الخبر و يصح عليه الصوم و الافطار و نظير ذلك صوت المدفع وإعلان الطبال الذى لاخلاف فيه بين الفقهاء .

{١١} ولا يصح لكل رجل سمع الخبر بالراديو أن يستيقنه بنفسه و يعمل وفقه فى الصوم و الأفطار ، لأنه لا يفهم مكانته الشرعية ، لذلك فيجب على السامعين جميعاً أن يراجعوا العلماء المسؤلين ويعملوا بما يفتوه ، لأن هذه المسألة ليست فردية بل هى اجتماعية

{١٢} ولا يعتبر خبر راديو باكستان أو الأقطار القريبة إلا إذا كان الخبر وفق الشروط المذكورة أعلاه .

{١٣} و العلماء هم الذين يصرحون بأن الخبر مستفيض أم لا ؟ إذا أعلنت نفس الخبر عدة محطات إذاعية فى مدن مختلفة و لا عبرة فيه

البقية على ص ٩٥

نقد وتعريف :

« ترجمان القرآن » الجزء الثانى

بقلم : المغفور له مولانا أبى الكلام آزاد

تولى مجمع « ساهتيه » فى دهلى الجديدة ، إحياء التراث العلمى الذى خلفه مولانا أبو الكلام آزاد ، و من بينه كتابه المعروف بـ« ترجمان القرآن » الذى نال القبول و الاعجاب فى الأوساط العلمية الهندية قديماً ، و قد نفدت نسخه فور الطبعة الأولى فكان مفقوداً .

ونظراً إلى ذلك عنى المجمع المذكور أعلاه بالزيادة و التنقيح و إعادة النظر على مواد الكتاب كله و طبعه فى حلة قشيبه .

و قد سبق أن المجمع أصدر الجزء الأول لهذا الكتاب قبل مدة ، و هو يحتوى كله على تفسير سورة الفاتحة فحسب ، أما الجزء الثانى الذى نتحدث عنه فهو يتضمن تفسير خمس سور كبرى إبتداءاً من سورة البقرة إلى سورة الأنعام ، و ذلك ما جعل هذا التفسير يمثل الايجاز ، بينما كان الجزء الأول يصور الاطناب و التفصيل .

وعلى كل فان لهذا الكتاب مكانة فى النفوس ، وقيمة لاتنكر و هو سند كبير يعتمد عليه أنصار مولانا آزاد فى الدفاع عنه ورفع شأنه فى العلوم و علو كعبه فى فهم القرآن و السنة .

و نحن إذ نهنئ المشرفين على هذا المجمع والمسؤلين عنه على إحياء هذا التراث العلمى نتمنى لهم كل توفيق وتقدم فى هذا المجال .

بقية ص ٨

لقد وقع بصرى على تصريح وتعليق لبعض رجال السلك الدبلوماسى فآلمنى هذا المستوى المنخفض الساقط الذليل من التفكير و هذه العقلية الصغيرة الضيقة القاصرة ، عقلية العصافير أو عقلية القرود و البيغاوات التى تحسن التقليد و تجيد فن المحاكاة (١) .

يا عباد سارتر : يا أيها الأقزام المقلدون ، المتآمرون على الشعب العربى المسلم المظلوم ، و يا أيها المنكرون لمبادئكم ، المنحرفون عن جادتكم السادرون فى غيكم ، إن تحمسكم لهؤلاء الكتاب الملحدين واحتفالكم بهؤلاء الأدباء الأشقياء فى الدنيا و الدين ، و تغنيكم بهذه المذاهب و المناهج التى لا خلاق لها فى الدنيا و الآخرة ، و تصفيقكم لهذه الشرذمة القليلة من المجرمين و الطغاة - الذين سودوا وجه الانسانية و انحطوا بها إلى درجة الكلاب و الذئاب - تسوقكم - فى نهاية المطاف - إلى مزبلة التاريخ التى تكدس فيها كل مأبته النفوس الطاهرة المؤمنة وبجته العقول النظيفة والأرواح الشفافة ، و عافه القلب السليم و الفكر المستقيم .

إنها ترمى بكم فى النهاية و من غير احتفال فى أرساخ التاريخ أو فى مهوى سحيق ، فهل أصبركم سارتر و ماركس و تيتو و هيلاسلاسى على هذا المصير ؟ ؟ .

« و إن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا و إن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا » و صدق الله العظيم !

محمد الحسنى

(1) اقرأ Al' Arab, March, 1967 p. 1 Arab League Office

بسم الله الرحمن الرحيم

تحت الطبع

مرقاة المفاتيح
شرح
مشكاة المصابيح

تحت الطبع

تأليف
رأس المفسرين إمام المحدثين العلامة
على بن سلطان محمد القارى
رحمه الله البارى
و بهامشه
مشكاة المصابيح المذكور
للعلامة الخطيب التبريزى رحمه الله

طبع جديد : كامل فى خمسة أجزاء كبيرة ، صفحاته ٣٢٥٠ تقريباً ، مجلداً
ثمن الجزء الواحد مبلغ ٢٥ روبية ● ثمن الكتاب الكامل مبلغ ١٢٥ روبية
(ثمن النسخة قبل الطبع عشر ليرات انجليزية مع مصارف البريد للخارج)

لكل من يرسل إلينا (١٠) روبية مقدما بحوالة البريد نكتب اسمه فى دفتر المشتركين و سنرسل الكتاب المذكور جزءاً جزءاً كما يطبع .

حيث لا يمكن لجميع المشتاقين شراء الكتاب الكامل ، و لهذا اخترنا هذه الطريقة السهلة ، اطلبوا نموذج هذا الكتاب الجليل ، (٨ صفحات) نرسل مجاناً عند الطلب .

المراسلات و المخابرات بأسماء و عنوان
أبناء مولوى محمد بن غلام رسول السورتى تجار الكتب ١٣٢ - ١٣٤
جاملى محله بمبئى نمبر ٣ .

Molvi Mohad Bin Gulam Rasul Surtis Sons
Booksellers & Publishes
132-134 Jamli Mohalla, BOMBAY. 3